

تلبيس ابليس

لابن الجوزي البغدادي

الجزء الثاني

كتاب الجمهورية

يصـــدر عـن

دار التحـرير للطبع والنشـر

رئيس مجـــلس الإدارة

ســمير رجـب

المشـرف على التحـرير

فاروق فهمى

امتياز الاعلانات :

شركة الاعلانات المصرية

٥ شارع نجيب الريحانى

ت : ٧٤٤١٦٦

التوزيـع :

شركة التوزيع المتحدة

٢١ شارع قصر النيل

ت : ٣٩٢٣٧٤٩

المراسـلات :

كتاب الجمهورية ٢٤ شارع

زكريا أحمد : ٥٧٤٩٩٩٦

٥٧٤٩٠٩٠

كتاب الجمهورية

تلبيس إبليس

للحافظ جمال الدين بن الجوزى

الجـــــزء الثانى

التنفيذ الداخلي : صفوت عكاشة

ذكر تراجم الأبواب

الباب التاسع : في تلبيسه على الزهاد والعباد

الباب العاشر : في تلبيسه على الصوفية

الباب التاسع

في تلبيسه على الزهاد والعباد

فقد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس : بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيق . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها : وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة . ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع : وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فان النبى ﷺ نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل : وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين : ومن لم يحتمل حالهم وجها صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا . وقد قال بعض السلف : خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا .

فصل ومن تلبيسه على الزهاد : إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك : أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد . وكم قد رد إلى الصواب من متعبد .

﴿فصل﴾ ومن تلبيسه عليهم : أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير . ومنهم من لا يذوق الفاكهة . ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم . وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فاذا وجدوا أكلوا . وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فان الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى . وقد كان رجل يقول : أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره . فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد . وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفالوذج . وينبغى للانسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فان الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم . فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صاحبه أن يحمل عليه مايؤذيه . فان تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف او لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم مايضر تركه ومالا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤدى من جهة ان أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل فى الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لابد فى قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف

على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقبته فان ذلك يفسدها . فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبي وأبي طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول : ما أعجب أموركم فى المتدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة ، بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب . وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد فهلا عبدوا على عقل وشرع.

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة ، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم فى أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

(فصل) وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء . فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد . وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لاتخفى . وإنما نشير إلى خفى الرياء . وقد قال النبى ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل . قال مالك بن دينار : قولوا لمن لم يكن صادقا لاتتعب .

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما يدخل عليه خفى الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة . وفى الحديث مرفوعا عن يسار قال لى يوسف ابن أسباط : تعلموا صحة العمل من سقمه فانى تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة . وفى الحديث مرفوعا عن ابراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ، دخلت عليه فى صومعته فقلت له يا سمعان : منذ كم أنت فى

صومعتك هذه . قال : منذ سبعين سنة . قلت : ماطعامك . قال : ياحنيفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم . قال : فى كل ليلة حمصة . قلت : فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة . قال : ترى الدير بحذائك قلت نعم . قال : إنهم يأتوننى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها يعظموننى بذاك وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة . فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعز الأبد ، فوقر فى قلبى المعرفة . فقال أزيدك . قلت : نعم . قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى أدخل الدير فقد رأوا ماأدليت إليك، فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا ياحنيفي ما الذى أدلى إليك الشيخ . قلت : من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق ساوم قلت عشرين دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك ، هذا عز من لا يعبده فانظر كيف تكون بعز من تعبده ياحنيفي ، أقبل على ربك .

قلت : ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليها ويهرجوها بضدها ، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ، وكان فى ذيل أيوب السختيانى بعض الطول ، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالاسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظمهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم ، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته ، وان أشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه ، وإن لقى حيى ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له : هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك . فقال وما يصنع قال للكلام الذى وعظت به . فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شىء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه ، فأخذ

يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه باجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله . فقال الملك : أين الرجل فقيل له : هو هذا . قال هذا الذي يأكل قالوا نعم ، قال فما عند هذا من خير فأدبر . فقال الرجل : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به . وفي رواية أخرى عن وهب ، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول في اللقمة الكبيرة ويغمسها في الزيت فيأكل أكلا عنيفاً . فقال له الملك : كيف أنت يافلان فقال كالناس . فرد الملك عنان دابته وقال ما في هذا من خير فقال : الحمد لله الذي أذهبه عني وهو لائم لي . وباسناد عن عطاء قال : أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرتد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشي في الأسواق ويأكل . فقيل للوليد : إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير

(فصل) ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً ، لكنه قد علم أنه لابد ان يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذي ذكرنا قصته مع ابراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الاخلاص في زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحي به جاه النفس ويقطع الحديث عنه فقد كان داود بن أبي هند ، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله . كان يأخذ غذاءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق ، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت ، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق هكذا كان الناس .

(فصل) ومن المتزهدين : من فوته الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه باني أخاف أن أرى في خروجي المنكرات . وله في ذلك مقاصد : منها الكبر واحتقار الناس ، ومنها أنه يخاف أن يقصروا في خدمته ، ومنها حفظ ناموسه ورياسته فان مخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى إطراؤه وذكره . وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا . ويحب أن يُزار ولا يزور ويفرح بمجيء الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده . فهو يترك عيادة

المرضى وشهود الجنائز وبقول لأصحابه : أعذروا الشيخ فهذه عادة لا كانت عادة تخالف الشريعة . ولو احتاج هـذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولـكن فى باطنه حفظ الناموس . وقد كان رسـول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى . والحديث باسناد عن محمد بن القاسم . قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله . قال : أردت أن أدفع به الكبر وذلك إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر .

﴿فصل﴾ قال المصنف . وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس . فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع . ومراعاة قلوبهم فى مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة فى القلوب لا يمنع منه . وليس كل ما كان فى السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم قال الأوزاعى : كنا نضحك ونمزح فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم . أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون . فقالوا له . تعلمنا الرياء فقال . انى أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف . وإنما خاف قول الجهلة ، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين .

﴿فصل﴾ ومن هؤلاء قوم لو سئل أحـدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه فى الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه فى التبسم فضلا عن الضحك . ويوهمه ابليس أن هذا لإصلاح

الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطىء الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى .

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه والحديث باسناد عن عبد الله بن خفيف . قال قال يوسف بن اسباط . خرجت من سبج راجلا حتى أتيت المصيصة وجرابى على عنقى . فقام ذا من حانوته يسلم على وذا يسلم . فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحد قوابى واضطلع رجل فى وجهى فقلت فى نفسى كم بقاء قلبى على هذا . فأخذت جرابى ورجعت بعرفى وعنائى إلى سبج فما رجعت إلى قلبى سنتين .

﴿ فصل ﴾ ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير . وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى : ألا تسرح لحيتك فقال : إنى عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر فى المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة . وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم . فمن أدعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه .

(فصل) ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبى ﷺ إن لأهلك عليك حقاً . وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه ويسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدرى لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة ، وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر : هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك ، وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة .

﴿ فصل ﴾ ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له . أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقاً . ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه ، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله ، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه . وقد كان ينبغى أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر اليه كما كانت رابعة تقول . أستغفر الله من قلة صدقى فى قولى . وقيل لها هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك . فقالت : اذا كان فمخافتى أن يرد علىّ .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه ، قال ابن عقيل . كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقننى كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام فى شهر رمضان . فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض اليه من الحوائج فيقول : فى أذنه «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ»(1) ويقول لابنه فى عشية الصوم «مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا»(2) آمراً له أن يشترى البقل. فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصيه . فصعب عليه . فقلت : أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف أو توسدك له . فهجرنى ولم يصغ إلى الحجة .

قال المصنف قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتى به حدثنى أبو حكيم ابراهيم بن دينار الفقيه ، أن رجلا استفتاه فقال ما تقول : فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها . قال : فقلت لا . وكان عندى الشريف الدحالى (3) وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام . فقال لى . بلى تحل . فقلت : ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة .

---

(1) سورة المائدة آية (23)

(2) سورة البقرة آية (61)

(3) وفى النسخة الثانية الرحالى .

قال المصنف : فانظر مايصنع الجهل بأهله ويضاف اليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتيـا فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالاسناد عن اسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد ابن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم . قلت : من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا . فقال : لا ينبغى لمن يدعى مايدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه على الزهاد . احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب . ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم . وسليم هؤلاء يمشى وحده . وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد ان النبى ﷺ . قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . والله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

﴿ فصل ﴾ ومما يعيبون به العلماء . تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم . وكذلك يعيبون جامع الأموال . ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله . وغاية الأمر أن غيره أولى منه . أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام . ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى ، قال : حدثنى أبو عبدالله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم . قال : دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج . وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام . فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد . قال لحاتم . يا أبا عبدالرحمن لك حاجة فانى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فاذا

البواب فبقى حاتم متفكراً يقول يارب دار عالم على هذه الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور، فبقي حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل ، واذا بفراش حسن وطيء وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف ؛ فقعد الرازى وبقى حاتم قائماً فأومى اليه محمد بن مقاتل بيده أن أجلس فقال حاتم ، لا أجلس ، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم ، قال وماهى قال مسألة أسألك عنها قال فاسئلنى قال حاتم قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه ؛ فقال له حاتم علمك هــذا من أين جئت به فقال حدثنى الثقات عن الثقات من الائمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل، فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الائمة واداه الائمة إلى الثقات وأداه الثقات اليكم ، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه الين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر ، قال ، لا ؛ قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب ؛ قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبا لنبي ﷺ وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمروذ فإنهما أول من بنى بالجص والآجر. ياعلماء السوء ان الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول : هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الرى ماجرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمى جئتك لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعم وكرامة، ياغلام اناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء ، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ ،

قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثة حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسي ، أسرفت قال حاتم فيماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعا قال ياسبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال ياقوم أي مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب اليه فأصلي فيه ركعتين قالوا ماكان لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاط ، قال، فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ماكان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة. فقال حاتم فهذه مدينة فرعون . قال : فسبوه وذهبوا به إلى الوالي . وقالوا هذا العجمي يقول . هذه مدينة فرعون . فقال الوالي . لم قلت ذلك قال حاتم . لاتعجل على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة فسألت أي مدينة هذه قالوا مدينة رسول ﷺ ، وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا . إنما كانت لهم بيوت لاطئة . وسمعت الله عز وجل يقول . « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»(١) فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون .

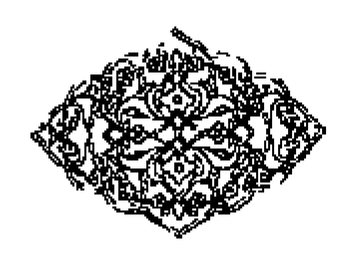
قال المصنف قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذي يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً . فان الذي أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن في شيء ثم يعاتب عليه . فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم : لو قصرتم فيما أنتم فيه لتقتدي الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام . وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم ، وفلاناً وفلاناً من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الداري حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال إن

---

(١) سورة الأحزاب آية (٢١)

الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . وبإسناد عن حبيب الفارسي يقول ، والله أن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز .

قال المصنف : قلت المراد بالقراء الزهاد ، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .



الباب العاشر

في تلبيسه على الصوفية

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص فال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد . ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام . فيقال مسلم ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها . وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر فانتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال . قال قال أبو محمد عبدالغنى بن سعيد الحافظ . قال سألت وليد بن القاسم . إلى أى شيء ينسب الصوفى . فقال . كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر . وبالاسناد إلى الزبير بن بكار قال . كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة . وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب . أجز صوفة . قال الزبير . قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال الزبير حدثنى أبو الحسن الأثرم عن

هشام بن محمد بن السائب الكلبي . قال إنما سمي الغوث بن مر صوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد . فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة . ففعلت . فقيل له صوفة ولولده من بعده . قال الزبير . وحدثني ابراهيم بن المنذري عن عبد العزيز بن عمران . قال أخبرني عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله علي أن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى . فقالت ما صار ابني إلا صوفة فسمي صوفة وكان الحج وإجازة الناس من عرفه إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة

فلم تزل الاجازة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة . وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة . والحديث باسناد عن الحسن . قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير . وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول . السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون . وعليك السلام يارسول الله فيقول كيف أصبحتم . فيقولون بخير يارسول الله . وباسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبي ذر قال . كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله صلى ﷺ . ناموا في المسجد .

قال المصنف . وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة . وإنما أكلوا

من الصدقة ضرورة . فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا
ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفى، وقد ذهب
إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة . فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات
الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا اليها لقيل صوفانى . وقال آخرون
هو منسوب إلى صوفة القفا . وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى
عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق . وقال آخرون . بل هو منسوب إلى
الصوف . وهذا يحتمل . والصحيح الأول .

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه
وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس،
ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من
الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة
التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الأخرى . والحديث باسناد عن
الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن
التصوف . فقال الخروج عن كل خلق ردىء ، والدخول فى كل خلق سنى
وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول : قال .
رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم . وقعدت هذه الطائفة على الحقائق .
وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع
ومداومة الصدق .

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء
ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى
فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل
فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات . فنهم من أراه أن المقصود
من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا مايصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب،
ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من
لا يضطجع . وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم

من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الأحاديث الموضوعة وهو لايدرى .
ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو فى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم . وإنما حملوه على مذاهبهم . والعجب من ورعهم فى الطعام وانبساطهم فى القرآن . وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز . قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبدالله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه . وكان يضع للصوفية الأحاديث .
قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى . وصنف لهم أبو طالب المكى قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لايستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالى وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد . وردد فيه قول ـ قال بعض المكاشفين ـ وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا

لأوليائه . أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال أبو طاهر محمد بن العلاف . قال : دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين [1] بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال . ليس على المخلوق أضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب . وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات .

قال المصنف : وجاء أبو نعيم الأصبهانى فصنف لهم كتاب الحلية . وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم . فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد .

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتى ذكره وصنف لهم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء. والبقاء .والقبض . والبسط .والوقت . والحال . والوجد والوجود .والجمع. والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والإثبات . والتجلى .والمحاضرة .والمكاشفة.واللوائح .والطوالع . واللوامع .والتكوين. والتمكين والشريعة . والحقيقة . إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشىء وتفسيره أعجب منه،وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول .كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة:قال وصنف كتابا فى جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية

(١) فى نسخة أبى الحسن .

. عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها .فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح : قال شيخنا ابن ناصر . وليس ابن طاهر بمن يحتج به ، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الاحياء على على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه .وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوارهى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية .وقال فى كتابه المفصح بالأحوال . إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

قال المصنف : وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم .وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم . وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل اليها . وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء .

﴿ فصل ﴾ وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث باسناد إلى أبى يعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال. ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال المصنف : وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي .فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم . وعن سعيد بن عمرو البردعي ، قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل .اياك وهذه الكتب . هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب،

قيل له . فى هذه الكتب عبرة . قال : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة . بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثورى، والاوزاعى، والأئمة المتقدمة، صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبى ومرة بعبد الرحيم الدبيلى ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : أول من تكلم فى بلدته فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذوالنون المصرى فأنكر عليه ذلك عبدالله بن عبدالحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى . وأخرج أبو سليمان الدارانى من دمشق . وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على احمد بن أبى الحوارى : أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبى يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لى معراج كما كان للنبى ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بهـا إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام، قال السلمى وحكى رجل عن سهل بن عبدالله التسترى أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبى فى شىء من الكلام والصفات فهجره احمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات .

قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى فى حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أى يوم يثب على الناس .

(فصل) قال المصنف : وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم . وبإسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال ربما تقع فى نفسى النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود .

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع . وبإسناد عن عبد الجيد الحبلى يقول سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط وعن الجنيد أنه قال : مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة : عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى . وعن أبى بكر الشقاف : من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن ، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه . من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ، وعن الجريرى قال : أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً . وعن أبى جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال .

(فصل) قال المصنف : وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت

من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة فى الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر . فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة . ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لاظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به . لأن الانقياذ إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله .

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية . ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه . وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى باسناد إلى يحي بن سعيد قال : سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم فى الحديث . فقالوا جميعا يبين أمره: وقد كان الامام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه فى الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه وقال عن سرى السقطى : الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكى له عنه أنه قال أن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال : نفروا الناس عنه .

﴿ سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد ﴾

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقبلوه فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة وقال : لبيك لبيك . فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق . وبيع فرسه

بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق ، وباسناد إلى أبي بكر الفرغانى أنه قال : كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول : لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى . ثم قال أبو على وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه الذكر . وعن أبي على الروزبارى قال أطلق على أبي حمزة أنه حلولى وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول . قال السراج وبلغنى عن أبي حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشهق أبو حمزة شهقة وقال : لبيك ياسيدى فغضب الحارث المحاسبي وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك . قال أبو حمزة : إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد .

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبي سعيد احمد بن عيسى الخرا ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله : عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال : وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم . وقال السراج : ذكر عن أبي بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى . وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا . فقيل له : أولا أصلى عليهم قال : صل عليهم بلا وقار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار . قال السراج : وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال فى المستحسنات . قال وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى الدنيا كالرؤية بالعيان فى الآخرة قال السراج . وبلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى : سمعت الله يقول (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[1] وليس العشق بأكثر من المحبة . قال القاضى

(١) سورة المائدة آية (٥٤)

ابو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق .

قال المصنف وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لايكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عزوجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي ﷺ من قال إنى فى الجنة فهو فى النار .

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال : كنت أماشى الحسين بن منصور فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحي الرازى . قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول . لوقدرت عليه لقتلته بيدى فقلت بأى شىء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به . وبإسناد عن أبى القاسم الرازى يقول قال أبو بكر بن ممشاد . قال . حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه . فقال . هذا خطى وأنا كتبته . فقالوا كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية . فقال . ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة . فقيل له : هل معك أحد . فقال . نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى . وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلى يتستر فان كان فابن عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل . هذا كافر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله . وبإسناد عن ابن باكويه قال :ا سمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات .

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ . على قائله لعنة الله . قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين ابن منصور . قال : إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون متقولا عليه . وبإسناد عن على بن المحسن القاضى عن أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير . فسألها عن الحلاج فقالت . حملنى أبى اليه فقال . قد زوجتك من ابنى سليمان وهو مقيم بنيسابور فتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومى يومك واصعدى فى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد واجعلى فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبلينى بوجهك واذكرى لى ما أنكرتيه منه فانى أسمع وأرى . قالت : وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشينى فانتبهت مذعورة لما كان منه . فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة . فلما نزلنا قالت ابنته . اسجدى له . فقلت : أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامى . فقال . نعم إله فى السماء وإله فى الأرض.

قال المصنف : اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج . فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء . وإنما سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدرى مايقول . والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبى هريرة . قال قال رسول الله ﷺ . ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم . وبأسناد عن أبى القاسم يوسف بن يعقوب النعمانى قال سمعت والدى يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهانى يقول : إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف : وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء . وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت ابراهيم بن محمد النصراباذى كان يقول . إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل . وقد جمعت فى أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

وبإسناد عن أبى نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادى بمكة يحكى

أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة . أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه . فقال له السياف . مادعاك إلى البدار . قال آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة فتوقف السياف فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضى القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم . وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال هيهنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور . فأدخلوا إلى الخليفه فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السياف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع . قال : أحببت أن أوثر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى إلى السياف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً . وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقى قال سمعت الرقى يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبى سليمان فقال . الضيافة . فقلت لابنى إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة . فسمته المقام فقال . الضيافة ثلاثة أيام . فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين . فقال : رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع فى نفسى أن أسأله أى شيء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعنيك . فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين . فقال فى الثالثة لابد لك فقلت له ان رأيت . فقال . بينما أنا أصلى بالليل إذ لاح لى من المحراب نور فقلت إخسأ يا ملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحبّ أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على

اما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى قال فمكثت أخدمه تمام اثنى عشرة سنة : فقال يوماً من الأيام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضا أبرز حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات .

قال المصنف : وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب . وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا . وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات .

قال المصنف : وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة ﴾

قال المصنف : قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى بلغنى أن ابن عقيل دخل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه . وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقير : من أين تتوضأ . فقال : من النهر ، بى وسوسة فى الطهارة قال: كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان . والآن يسخر بهم الشيطان ، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدى إلى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا ، والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً بتنظيف ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق .

ذكر تلبيس إبليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف : وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد ، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى ان من سنتهم التى ينفردون

بها وينتسبون اليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف : وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثمامة كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل ، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس فى حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه ، وهل هذا إلا ابتداع فى الواقع سموه سنة . ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى المساكن ﴾

قال المصنف : أما بناء الأربطة فان قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد . وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه . أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد : والثانى أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا إلى المساجد . والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة . والخامس أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح . والسادس أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة (١) ومناخا للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر ، وأين ورع سرى ، وأين جد

---

(١) الكوبة : النرد وقيل الطبل .

الجنيد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثني قلبي عن ربي . ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه وأن قوماً قرأوا الحديث في رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد عنها ﴾

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن فقد كفي إبليس هذه المؤنة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمي قال سمعت أبا نصر الطوسي : قال سمعت جماعة من مشايخ الري يقولون ورث أبو عبد الله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء .

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الاخوان أو اصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلا وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه.

فمن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه . فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن

جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة . ود ابن عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً . قال ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هـذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج .

قال الحارث : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شىء فرحوا وأنت تدخر المـال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسـول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه . ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المـال لأعمال البر فقال تركه أبر منه . وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا

فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يذلها فأيهما أفضل فقال : بعيد والله مابينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها .

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة فانه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ، إذ أقل مافيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لايبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل .

قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال .

(فصل) فى رد هذا الكلام أما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف . فقال تعالى « وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا »[1] ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد . فقال « فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ »[2] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد : لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وقال : ما نفعنى مال كمال أبى بكر . والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص . قال : بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته فقال : أنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت يارسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام . فقال ياعمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح . والحديث باسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير . وكان فى آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له . وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته . قال : فقلت يارسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك .

---

(١) سورة النساء آية (٥)

(٢) سورة النساء آية (٦)

قال المصنف : فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل . ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعز وسلامة القلب من الافتتان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنته . فأما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه . وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده ، فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات . وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته . وباسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر (١) فرسه بأرض يقال لها ثرثر . فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه فقال : أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول : اللهم وسع على.

قال المصنف : وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾(٢) مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وأن شعيباً طمع فى زيادة ما يناله فقال ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾(٣) . وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل(٤) جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له : أما شبعت . قال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضاً .

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله : إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال . وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله .

---

(١) الحضر بضم المعجمة عدو الفرس .

(٢) سورة يوسف اية (٦٥)

(٣) سورة القصص آية (٢٧)

(٤) هو الجراد الكثير .

وما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء هذه عنه ألحقه بالقوم . وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت . وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه ، فقال عثمان : يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالا فما ترى فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني . أذر خلفي ست أواق . أنشدك الله ياعثمان أسمعت هذا ؟ ثلاث مرات قال نعم .

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه . قال يحيى لا يحتج بحديثه . والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفي سنة اثنتي وثلاثين، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين . ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع . ثم كيف تقول الصحابة رضي الله عنهم . إنا نخاف على عبد الرحمن ،أو ليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الإباحة ، أو يأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة ، فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار الحمل ، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف ، وخلف ابن مسعود رضي الله عنه تسعين ألفاً ، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأما قوله : أن عبد الرحمن يحبو حبواً يوم القيامة . فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث ، أوكان هذا مناماً وليس هو في اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن في القيامة ، أفترى . . من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة . ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى . ثم الحديث يرويه عمارة بن زاذان ، وقال البخاري : ربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروي عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، وقال الدار قطني: ضعيف، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : بينما عائشة رضي

الله عنها في بيتها سمعت صوتاً في المدينة . فقالت : ما هـذا ؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء ، قال وكانت سبعمائة بعير ، فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : إن استطعت لأدخلنها قائماً . فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل .

وقوله : ترك المال الحلال أفضل من جمعه . ليس كذلك بل متى صح القصد لجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء . والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال : ما قاله رسول الله صلى الله ﷺ قط . وقوله : هل تجد في دهرك حلالا . فيقال له : وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقول : الحلال بين والحرام بين . أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ماتقلبت في شبهة ، هـذا يبعد وما طولبنا به . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلاشك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرته ماحكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات . ولو أدعى الاجماع على خلاف هـذا لصح ، ولـكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله إني في كفاية فقال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغي المريد أن يخرج من ماله ، قد بينا أنه إن كان حراماً أو فيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالـكسب جاز له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زوع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضي الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ماخلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال في هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء . وإنما تجافاه قوم منهم إيثاراً للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعوا

باليسير ولو قال هـذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولـكنه زاحم به مرتبة الاثم .

(فصل) واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ،ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ،والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئاً . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهـذا احتجاج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس مامعه فلذلك قال : كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى . فقال رسول الله ﷺ : وما أبقيت لأهلك . فقلت مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان مايقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شيء فى يومه لغده ، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير : وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك . ألا ترى كيف أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة .

(فصل) وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهـذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه . والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجائه عن يمينه فأعرض عنه ثم

جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه . فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابته لعقرته ، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقال يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول . وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبدالله . قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال ، يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها. فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته . فقال رسول الله ﷺ . يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . وفى رواية أخرى : خذ عنا مالك لا حاجة لنا به . وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا . فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة . فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به : خذ ثوبك .

قال المصنف : ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل . قال قال : ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى ، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم ، فرد الرسول وقال يا أبا بكر . أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه ، فقال للرسول : إرجع اليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق . فبعث اليه بمائة دينار . قال ابن عقيل : ان كان أنفذ اليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله . فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه .

﴿ فصل ﴾ وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها. وقال . ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبى يعقوب الزيات

بابه فى جماعة من أصحابنا . فقال : ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجىء إلى ، فقلت له : إذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه : فسألته عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندى شىء .

قال المصنف . لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج صور المال . ما قال هؤلاء هذا الكلام . ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم . وقد روينا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة ، فمن أين أطعم عيالى . وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرنى . وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال . حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقال لى كل فقلت لا آكله فانه يضرنى فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت . اللهم انك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين . فسمعت هاتفاً يهتف بى ويقول — ولا يوم اللبن .

قال المصنف . وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها — واعلم أن من يقول هذا يضرنى . لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾[1] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر . وقوله — ما نفعنى مقابل لقول القائل — ماضرنى . وصح عنه أنه قال . ما زالت أكلة خيبر تعادّنى فهذا أو ان قطعت أبهرى (١) . وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من

---

(١) سورة ابراهيم اية (٣٦)

(١) الأبهر عرق فى الظهر ، فإذا انقطع لم تبق معه حياة : وتعادنى بالدال المشددة تأتينى المرة بعد المرة .

أموالهم زهداً فيها . وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل . كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات . فنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط او المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب . ومعلوم ان الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة (١) سوى ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه . وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك ـ بالفتوح ومنها ان رزقنا لابد ان يصل الينا . ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه . وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فان النبي ﷺ قال . الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن فى ماله شبهة . وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافاً وتنزهاً وعن أبى بكر المروزى قال ذكرت لأبى عبدالله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة . ثم سكت . ثم قال . ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة . فقال .. لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى عمن أخذ .

قال المصنف : ولقد بلغنا ان بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله. فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا فان النبي ﷺ قال اليد العليا خير من اليد السفلى ــ واليد العليا هى المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الأموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعمهم وسئل احمد بن حنبل عن السرى

(١) المرة بكسر الميم القوة .

السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة إلى الغزو فاكترينا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لايبالون من أين أخذوا فانه يعجب . ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمه فقلت ويحكم ماكفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رءوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ويهنئهم بملبوس لايحل وولاية لاعدل فيها والله انكم أضر على الإسلام من كل مضر .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المجيان (١) يلبس الصوف صيفاً وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار .

قال المصنف وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبى ﷺ أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ كيتان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى لباسهم ﴾

قال المصنف لما سمع أوائل القوم ان النبى ﷺ كان يرقع ثوبه وانه قال لعائشة رضى الله عنها لا تخلعى ثوباً حتى ترقعيه وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع وان اويسا القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك

(١) وفى النسخة الثانية المحليان ، وفى نسخه أخرى الملحيان .

انه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة إغسلى قميص أمير المؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره . فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقاً ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها انه من الزهاد افتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أنتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك أتراهم ما علموا ان التصوف معنى لاصورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثواباً جدداً مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما ، فقالوا ، ليس هذا المصور عندنا ، ألكم أمير أولا ، فقالوا ، لنا أمير غير هؤلاء ، فقالوا هو أمير هؤلاء ، قالوا ، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا ، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال ، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية ، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه ، وهذا لص ليلى ، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف . وجاء

آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس. وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا. ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومفارقة الفقراء كبراً وتعظماً. وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: يا بنى إسرائيل: ما لكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى. إلبسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية.

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم قال أخبرنا حمد بن احمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن معبد ثنا يحى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار، قال. ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم.

أخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا احمد بن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدبة ثنا حزم. قال سمعت مالك بن دينار يقول: انكم فى زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير. انكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنهم فى أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا أخبرنا حمد بن احمد نا احمد بن عبدالله الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن احمد ثنى مهنى الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال: نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس اليه. فقال له: هل لك أن أكلم بعض المشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم، قال: ماشئت يا أبا يحى: قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه.

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا احمد ثنا قارون بن عبدالكبير الخطابى ثنا

هشام بن علي السيرافي ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبي ثنا مالك بن دينار. قال: كان فتى يتفرى فكان يأتيني. فابتلي: فولي الجسر فبينما هو يصلي إذ مرت سفينة فيها بط. فنادى بعض أعوانه: قرب لنا أخذ العامل بطة: فأشار بيده سبحان الله أي بطتين قال فكان أبي اذا حدث بهذا الحديث بكي وأضحك الجلساء.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصني فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. أخبرنا بن ناصر نا أبو عبدالله الحميدي نا أبو بكر احمد بن محمد الأردستاني ثنا عبدالرحمن السلمي قال سمعت أبي يقول بلغني ان رجلا قال للشبلي: قد ورد جماعة من أصحابك وهم في الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول:

أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

قال المصنف رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهرجة في تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على كل غبي في الغاية. فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تمنيس بارد والأمر في ذلك على نحو قول الشاعر:

تشبهت حور الظباء بهم ... ان سكنت فيك ولا مثل سكن

أصامت بناطق وناقر ... بآنس وذو خلا بذي شجن

مشتبه أعرفه وإنما ... مغالطا قلت لصحبي دار من

﴿ فصل ﴾ قال المصنف. وإنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة. والثاني انه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه. والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره. والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثني أبي ثنا أبو النصر ثنا عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرسي عن ابن عمر. قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم. وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني أبي. قال:

لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبدالله بن احمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث ـ وكان من المنكرين على هذه الطائفة ـ فأخذت فى القراءة فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك . أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى فى طلبه . فقلت :ـ أيها الشيخ وأى شىء أنكرت على حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته، وان لم يكن له أصل فى الشريعة تركته فقال ما هذه الشوازك (١) التى فى مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الانكار لأن هذه الشوازك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله .

قال المصنف . قلت لقد أصاب السكرى فى إنكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها . فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبو عبدالله بن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الحسين ابن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول : لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها يعنى بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط ـ أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط . قال سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه : وأخبرنى أبو الحسن الحنظلى . قال نظر محمد بن محمد ابن على الكتانى إلى أصحاب المرقعات فقال : إخوانى ان كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وان كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا

---

(١) نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ .

محمد بن الحسين السلمي . قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول : قال أبو عبدالله محمد بن عبد الخالق الدينوري لبعض أصحابه . لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن. وقال ابن عقيل . دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط . فقلت للحمامي . أرى سلخ الحية . فمن داخل . فذكر لي بعض من يتصفف بالبلاء حوشاً للأموال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفي الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا احمد بن علي بن ثابت نا القاضي أبو محمد الحسن بن رامين الأسد آبادي نا أبو محمد عبدالله بن محمد الشيرازي نا جعفر الخالدي ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكريني قال أوصى لي ابن الكريني بمرقعته فوزنت فردة كم من أكامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكيل (١) .

﴿ فصل ﴾ وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ . وجعلوا لها إسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنة في لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد ان النبي ﷺ أتى بثياب فيها خميصة (٢) سوداء فقال من ترون أكسو هذه . فسكت القوم : فقال رسول الله ﷺ ائتوني بأم خالد ، قالت فأتى بي فألبسنيها بيده . وقال . أبلي واخلق .

قال المصنف وإنما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص . وأمها همينة بنت خلف . قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لها هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة . وما كان من عادة رسول الله ﷺ إلباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم .

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في حديث أم خالد ، وذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال : باب السنة

(١) في النسخة الثانية ـ الكبل ـ بالباء الموحدة (٢) كذا في النسختين

فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة . واحتج بحديث عبادة ، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق ، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة .

﴿ فصل وأما لبسهم المصبغات . فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض ، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهى أكثر شهرة . وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة . فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا على ابن عاصم نا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم . قال عبدالله ، وحدثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ . قال . ألبسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب . وكفنوا فيها موتاكم . قال الترمذى . هذان حديثان صحيحان ، وفى الباب عن ابن عمر ، قال ، وهذا الذى يستحبه أهل العلم ، وقال احمد بن حنبل واسحاق ، أحب الثياب الينا أن نكفن فيها البياض ، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال ، باب السنة فى لبسهم المصبغات ، واحتج بأن النبى صلوات الله عليه وسلامه ، لبس حلة حمراء ، وانه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

قال المصنف : قلت ولا ينكر ان رسول الله ﷺ لبس هذا ولا ان لبسه غير جائز ، وقد روى انه كان يعجبه الحبرة ، وإنما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر ، فأما الفوط والمرقع فانه لبس شهرة .

﴿ فصل ﴾ وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته . فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبدالله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبدالمؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامى ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبى ذر . عن النبى ﷺ انه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه . أخبرنا عبد الحق

ابن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن علي التيمي قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبي شعيب الحراني ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي ﷺ . أنه نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان قال؟ رقة الثياب وغلظها. ولينها وخشونتها، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد .
أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخاري . قال . قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة . قال المصنف . وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثنى أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو اسحاق البرمكي نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاويه عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضي الله عنه قال . من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة . وعن ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريماً .

قال المصنف . وقد روينا أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا . فان هذا ثوب شهرة . أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدي ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدوري ثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت

مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلىّ ثوب أحمر . فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى . كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبذل، وقال معمر .. عاتبت أيوب على طول قميصه . فقال . إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف . وبما روى فى فضيلة لبس الصوف، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب . وأما ماروى فى فضل لبسه فن الموضوعات التى لا يثبت منها شىء . ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين: اما أن يكون متعوداً لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشتهر به . واما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين . أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد . وقد أخبرنا محمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة ثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأبهرى ثنا روزبه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبدالله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوباً من جرب حتى تتساقط عروقه. أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ثنا محمد بن عبيد الهمدانى ثنى عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثني أبي ثنا عبدالصمد ثنا خالد بن شوذب قال شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يافريقد يا ابن أم فريقد. ان البر ليس في هذا الكساء وانما البر ماوقر في الصدر وصدقه العمل. أنبأنا محمد بن عبدالباقي نا أبو محمد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثني أبو شداد المجاشعي. قال: سمعت الحسن ـ وذكر عنده الذين يلبسون الصوف ـ فقال. ما لهم تعاقدوا ثلاثاً أكنوا الكبر في قلوبهم، وأظهروا التواضع في لباسهم. والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه. أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو علي التميمي نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيي البزوري ثنا عبدالله بن أيوب المخرمي قال حدثنا عبدالمجيد يعني ابن أبي رواد عن ابن طهمان يعني ابراهيم عن أبي مالك الكوفي عن الحسن أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره في الأرض فجعل لايرفع رأسه وكأن الحسن خال فيه العجب. فقال الحسن ها إن قوماً جعلوا كبرهم في صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف. ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من زي المنافقين. قالوا يا أبا سعيد وما زي المنافقين قال خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيل هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس. ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف. فاذا قال له القائل. يا أبا فلان. ظهر منه ومن أوباشه الإنكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمله الديباج عند الأوباش. أخبرنا محمد بن عبدالباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبي الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجي وعليه ثوب صوف فقال له حماد. ضع عنك نصرانيتك هذه. فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعني النخعي فيخرج علينا وعليه معصفرة. أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم

الحافظ ثنا عبدالله بن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدى ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال . إياكم وأصحاب الأكسية . أخبرنا محمد ابن ناصر وعمر بن طفر قالا نا محمد بن الحسن الباقلاوى نا القاضى أبو العلاء الواسطى ثنا أبو نصر احمد بن محمد الساذكى نا أبو الخير احمد بن محمد البزار ثنا محمد بن اسماعيل البخارى ثنا على بن حجر ثنا صالح بن عمر الواسطى عن أبى خالد قال . جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبى العالية وعليه ثياب صوف . فقال له أبو العالية . إنما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا احمد بن عبدالله الأصبهانى ثنا أبو محمد بن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى ثنا العيص بن اسحاق : قال سمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشىء بعد شىء كل ذلك إنما هو لحب الدنيا . أنبأنا بن الحصين . قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على بن شبيب قال ثنا احمد بن أبى الحوارى . قال قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف . وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم . أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه . ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له قال احمد بن أبى الحوارى قال لى سليمان ابن أبى سليمان ـ وكان يعدل بأبيه . أى شىء أرادوا بلباس الصوف. قلت . التواضع . قال : لا يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف . أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبدالله بن احمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى (١) نا أبو سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح بن عبد المجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفياً فقال له الثورى هذا بدعة . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة .

(١) كذا بالمهملة .

أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي نا أبو عبدالله محمد ابن عبدالله الحاكم قال أخبرني محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت احمد بن شداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً ـ أكره هذا أكره هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ني عبدالواحد بن بكر ثنا علي بن أبي عثمان بن زهير ثنا عثمان بن احمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل على الموصلي على المعافى ـ وعليه جبة صوف ـ فقال له : ماهذه الشهرة يا أبا الحسن . فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أينا أشهر . فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس . أخبرنا اسماعيل بن أبي بكر المقرى نا طاهر بن احمد نا علي بن محمد بن بشران نا عثمان ابن احمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبنية «١» حمراء تدفع التراب فقال بديل : ماهذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذي عليك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق قال أخبرنا ابو عبدالله بن باكويه ثنا علان بن احمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل بن احمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث ـ وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين الكراهة في وجهه ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب إليّ من لبس الصوف في الأمصار . أخبرنا يحي بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن علي الطناجيري نا احمد بن منصور البرسري ثنا محمد بن مخلد ثنا احمد بن منصور ثني يزيد السقا رفيق محمد بن ادريس الانباري . قال . رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء . من فعل هذا من العلماء ، قال قد رآني بشر بن الحارث فلم ينكر عليّ . قال يزيد فذهبت إلى بشر . فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال: قد رآني ابو نصر فلم ينكر عليّ . قال: فقال لي بشر ـ لم تستشرني يا أبا خالد . لو قلت له . لقال لي. لبس فلان ، ولبس فلان . أخبرنا احمد بن منصور الهمداني نا ابو علي احمد بن

«١» في النسخة الثانية شبينة حمراء تدفع الرياء والسبنية ازر للنساء .

سعد بن علي العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفي ثنا أبن روزبه ثنا عبد الله ابن أحمد بن نصر القنطري ثنا ابراهيم بن محمد الإمام ثنا هشام بن خالد، قال سمعت أباسليمان الداراني يقول لرجل لبس الصوف. إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف، فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهرك قطنياً وباطنك صوفياً. أخبرنا يحيي بن علي المدبر نا أبو بكر محمد ابن علي الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار يقول: سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادي يقول سمعت ابن سيرويه يقول: دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهي على القوهي(١). أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر بن أحمد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال: حدثنا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا أحمد بن سعيد قال: سمعت النضر بن شميل يقول: قلت لبعض الصوفية، تبيع جبتك الصوف، فقال: إذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد.

قال أبو جعفر بن جرير الطبري: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النساء

﴿فصل﴾ قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون. ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال: كان المسلمون

---

(١) القوهي الثياب البيض.

إذا تزاوروا تجملوا . أخبرنا أبو بكر بن عبدالباقي أنبأنا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الاسدى عن ابن عون عن محمد قال : كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً ، وقد اشترى تميم الداري حلة بالف ، ولكنه كان يصلي بها . قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد ابن سيرين أن تميما الداري اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته . قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت ، أن تميما الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر . وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميما الداري اشترى رداء بالف فكان يصلي بأصحابه فيه .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً ، وكان الحسن البصري يلبس الثياب الجياد ، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمني فنظر إليه فرقد ، فقال : يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا ، فقال الحسن : ياابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب في بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الأعلى . أخبرنا أحمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد علي العجلي ثنا أبو ثابت بجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين الصوفي ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم الحراني ، ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم ، قال : كان لباس إبراهيم بن أدهم كتانا قطناً فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبدالله قال : سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى علي ذو النون خفاً أحمر فقال انزع هذا يا بني فانه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد ابن علي بن ميمون نا عبدالكريم بن

محمد المحاملي نا علي بن عمر الدار قطني نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني ثنى الزبير عن أبي عرنة الأنصاري عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور : العري الفادح خير من الزى الفاضح .

﴿فصل﴾ قال المصنف : واعلم أن اللباس الذي يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر وكانه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهي عنه . أخبرنا محمد بن ناصر نا علي بن الحصين ابن أيوب نا أبو علي بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشي ثنا عبد الله بن عمر القواريري ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه، قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة ، فقال : هل لك مال ، قلت : نعم قال من أي المال ، قلت : من كل المال قد آتاني الله عز وجل من الإبل والخيل والرقيق والغنم ، قال : فإذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال : أتانا رسول الله ﷺ زائراً في منزلي فرأى رجلا شعثاً ، فقال : أما كان يجد هذا مايسكن به رأسه ، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : أما كان يجد هذا مايغسل به ثيابه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قالا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنباري ثنى أبي ثنا أبو عكرمة الضبي ثنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : مضى علي بن أبي طالب إلى الربيع بن زياد يعوده . فقال له : يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخي ، قال : ماشأنه ، قال : ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده ، فقال : علي عاصما ، فلما حضر بش في وجهه

(١) كذا في النسختين ولعله الملاءة وكان لبسها من عاداتهم .

وقال : أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها ، انت والله أهون على الله من ذلك . فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال ! أحب إليه من ابتذالك بالمقال ، فقال : يا أمير المؤمنين إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء . ثم قال ويحك يا عاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره . قال أبو بكر الأنبارى : المعنى لئلا يزيد ويغلو ، يقال — تبيغ به الدم — إذا زاد وجاوز الحد .

﴿فصل﴾ قال المصنف : فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس . وقد أمرنا بمعاهدتها . وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب : انه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره . وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه . أو كان على وجه الرياء فى باب الدين فان الإنسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل . وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس فى شيء من هذا ما يكره ولا يذم . أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن محمد بن بشران نا أحمد بن ابراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانىء عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب نخرج يريدهم ، وفى الدار ركوة فيها ماء . فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته ، فقلت يارسول الله وأنت تفعل هذا ! قال نعم . إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهىء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال . أخبرنا محمد ابن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن احمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمى عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها . ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يارسول الله تفعل هذا ؟ قال : وأى شيء فعلت ؟ نظرت فى ظل الماء فهيأت من .

لحيتى ورأسى . إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيء من نفسه .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل ، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطى أنه قال : لو أحسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتى — وأمر يده على لحيته كأنه يريد ان يسويها من أجل دخول الداخل عليه — لخشيت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار . فالجواب : ان هذا محمول منه على انه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التخشع وغيره . فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن فان ذلك غير مذموم . فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم . أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصارى نا على بن عبدالله بن محمد النيسابورى نا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسى نا محمد بن عيسى بن عمرويه ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى بن حماد قال . أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمى عن ابراهيم النخعى عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق . وغمط بمعنى ازدرى واحتقر .

﴿فصل﴾ وقال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة . أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو طاهر محمد بن احمد بن أبى الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال ابو عبد الله احمد بن عطاء ، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبق ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفى نقيض .

﴿فصل﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من إذا لبس ثوبا

خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر . أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال : سمعت عيسى بن علي الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبي ، فقيل له الشبلي ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر أين في العلم فساد ماينتفع به فقال له الشبلي اين في العلم « فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ »[1] ، قال فسكت ابن مجاهد فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم قال له قد أجمع الناس إنك مقرىء الوقت فأين في القرآن إن الحبيب لايعذب حبيبه ، قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبي : قل يا أبابكر فقال قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فقال ابن مجاهد ، كأنني ماسمعتها قط .

قال المصنف رحمه الله قلت ، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لايوثق به . أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب ، قال : ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه ، فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية . وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله « فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ »[2] لأنه لايجوز أن ينسب إلى نبي معصوم انه فعل الفساد . والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية ، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها ، وقال : أنت في سبيل الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم من قال : عقرها ، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح ، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لايجوز ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز مافعل ولا يكون في شرعنا .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي الصقر ثنا علي بن الحسن بن جحاف الدمشقي ، قال أبو عبدالله أحمد بن عطاء كان مذهب أبي علي الروزباري تخريق أكمامه وتفتيق قميصه ، قال فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدي بنصفه ويأتزر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه مايتأزرون به ، فقطعه على عددهم فاتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامي ، قال ابن عطاء : قال لي أبو سعيد الكازروني : كنت معه في هذا اليوم وكان الرداء الذي قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً .

(١) سورة ص آية (٣٣)

(٢) سورة ص آية (٣٣)

قال المصنف رحمه الله : ونظير هذا التفريط ما أنبانا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقي نا أبو عبدالله الحاكم قال سمعت عبدالله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي . يقول : كانت لى قبجة [1] طلبت بمائة درهم فحضرني ليلة غريبان فقلت للوالدة : عندك شيء لضيفي . قالت . لا إلا الخبز . فذبحت القبجة وقدمتها إليهما .

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط. أخبرنا محمد بن عبدالباقي بن احمد قال أنبأنا رزق الله بن عبدالوهاب قال أنبأنا أبو عبدالرحمن السلمي: قال : سمعت جدي يقول :دخل أبو الحسين الدراج البغدادي الري . وكان يحتاج الى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديبقيا فشقه نصفين وتلفف به. فقيل له: لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقي ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب .

قال المصنف : وقد كان احمد الغزالى ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تأن فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان . قال المصنف رحمه الله قلت : فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم . ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولاخير فى حالة تنافى الشرع . أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم ، فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعناد . وإن كانوا لايعرفو فلعمري إنه لجهل شديد . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبدربه الحافظ .قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبدالله الرازى يقول : لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته .مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه . ففتح أبو عثمان عينه. وقال يابنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب .

---

(١) القبجة واحد القبج للذكر والأنثى ، وهو الحجل طائر معروف .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفي الصوفية من يبالغ في تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا احمد بن جعفر ثنا عبدالله ابن احمد ثني أبي ثنا محمد بن أبي عدي عن العلاء عن أبيه. أنه سمع أبا سعيد: سئل عن الازار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ازار المسلم إلى انصاف الساقين. لا جناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين. ما كان أسفل من ذلك فهو النار. أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن بن سعيد الجوهري . قال: كتب إليَّ عبد الرزاق عن معمر قال كان في قميص أيوب بعض التذييل . فقيل له . فقال الشهرة اليوم في التشمير . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانيء قال دخلت يوماً على أبي عبدالله احمد بن حنبل وعليَّ قميص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال . أي شيء هذا وأنكره . وقال . هذا بالمرة لا ينبغي .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف. وقد كان في الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبي الحسين بن على الطناجيري نا احمد بن منصور اليوسري ثنا محمد بن مخلد ثني محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبدالعظيم العنبري . قال بشر بن الحارث، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كمه .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان في الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً . وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغي خشية أو يتخذ سنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيسابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن اسماعيل ثني جعفر عن أبيه . أن على بن الحسين قال . يابني لو اتخذت ثوباً للغائط ، رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم أتيته ،

فقال : ماكان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الا ثوب فرفضه .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ، وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً في الدنيا، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح واحسن. أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد بن حياة نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثنى ابن أبى شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله ﷺ فى يوم جمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته . أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا محمد الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف الحساب نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبدالرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال محمد بن عمر وحدثنى غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم [1] ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد. فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم .

﴿ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم ﴾

قال المصنف رحمه الله : كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته . وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذى لا يقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبدالله أنه كان فى بدايته يشترى بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة . وحكى عنه أبو حامد الطوسى قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه

(١) فى الاصل وملابسهم وهو تحريف من الناسخ .

ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتي ثنى أبو عبدالله الحصرى قال سمعت أباجعفر الحداد يقول . أشرف عليّ أبوتراب يوماً وأنا على بركة ماء ولى سته عشر يوما لم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء فقال ماجلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا انظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على بن عبد الله العمرى ثنا محمد بن فليح ثنى إبراهيم بن البنا البغدادى قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحا كان معى وقلت هلم فقال لى ملحك مدقوق . قلت نعم . قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه . أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبدالعزيز ابن على الازجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى ابن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبي الحوارى . سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف. قال ابن جهضم وحدثنا محمدبن يوسف البصرى قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول : بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجى وابن ابى أوفى . ان سهل بن عبدالله يقول . انا حجة الله على الخلق . فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزبيرى فقال له . بلغنا أنك قلت ـ أنا حجة الله على الخلق ـ فبماذا ، أنبيٌ انت ؟ أصدّيق انت. قال سهل ، لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال . فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال . قالو . فأنت ،قدصححته . قال نعم ، قال وكيف ، قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء. فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسى خفت أن أكون قداعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء .

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو عبدالله ابن مفلح قال خبرنى أبي أخبرنى أبو عبدالله بن زيد [1] قال لى : منذ أربعين سنه ما أطعمت نفسى طعاما إلا فى وقت ما أحل الله لها الميتة . أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى أبو الحسن على بن محمد القوهى

(١) فى النسخة الثانية ، ابن وتد .

ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد، قال. جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس في مسجدك الذي أنت فيه، قال لا تطيق ذلك. فقال، ان رأيت ان توسع لي في ذلك. فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان في اليوم الثاني. قال له يا أستاذ: لابد مما لا بد منه. فقال: يا غلام لا بد من الله. قال، يا أستاذ نريد القوت. قال، يا غلام القوت عندنا إطاعة الله. فقال، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدي في طاعته عز وجل. فقال، يا غلام ان الأجسام لاتقوم إلا بالله عز وجل.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ. قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول. حدثني أخ لي كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام. فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف. إلزم السوق. أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم القيرواني يقول سمعت بعض أصحابنا يقول. أقام أبو الحسن النصيبي بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله. فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنايتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل. فقال. ألم أقل لك كن مع جنايتك، فقال الرجل، أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى مني، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة.

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجي نا أبو الحسن بن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزي قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى عليّ أيام لم يفتح عليّ بشيء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم فأرسل من يشتري لحماً

وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسي تقول : ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة . ثم استيقظت وقلت . يا نفس إنما جئت تحتجمين لتطعمي عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً . فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط . فقلت . ثم عقد : فسكت . وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لي شيء آكله : فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشي عليّ واجتمع حولي ناس وحسبوا أني مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندي يحدثني . ثم قال تأكل شيئاً . قلت قرب الليل . فقال : أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءني ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدي وقال : كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتي ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت

أنبأنا أبو المظفر عبدالمنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن عبدالله الصوفي يقول سمعت منصور بن عبدالله الأصفهاني يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول : اذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب . أنبأنا عبد المنعم ثنا أبي قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا احمد الصغير يقول : أمرني أبو عبدالله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر إلي وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا علي بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبدالله بن خفيف يقول : كنت في ابتدائي بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فافتصدت فخرج من عرق شبه ماء اللحم وغشي علي . فتحير الفصاد وقال . ما رأيت جسداً لآدم فيه إلا هذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال

بعضهم أكل درهم من اللحم يقسي القلب أربعين صباحا . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبدالواحد الدينوري نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : أحرموا أنفسكم طيب الطعام فإنما قوى الشيطان أن يجرى في العروق بها . وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار . ومنهم من كان يحمل ماءه في دن مدفون في الارض فيصير حاراً . ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة . وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد ابن علي السهلكي قال : سمعت عبدالواحد بن بكر الورياني ثني محمد بن سعدان ثني عيسى بن موسى البسطامي قال سمعت أبي يقول قال سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . قال : وأسهل ما لاقت نفسي مني أني سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالي عن أبي يزيد انه قال : دعوت نفسي إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد رتب أبو طالب المكي للقوم ترتيبات في المطاعم فقال : استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين في يوم وليلة قال : ومن الناس من كان يعمل في الأقوات فيقلها : وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهي تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال ، ومنهم من كان يعمل في الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة ، قال ، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفي بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ، وفي رقته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى ، وقد صنف لهم أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه ، فينبغي للمبتدي في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير

ويأكل كسرة كسرة ، ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان ، والنظر فى الكتب، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملى غما.

قال المصنف ، وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الاربعينية . يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها .

﴿ فصل ﴾ فى بيان تلبيس إبليس عليهم فى هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها.

قال المصنف رحمه الله ، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس مالا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غذاء فى التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .

قال المصنف رحمه الله ، وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عباده لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجزله ولو كان التناول ميتة ماجاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة ، وأما قول الحداد وأنا أنظر أن يغلب العلم اليقين فانه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم ، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع ، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح ، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس فجحدوا الأصل وشددوا فى الفرع ، وقول الآخر ، ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الأشياء وكيف يقال عمن استعمل ماأبيح له لست تفلح وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مرذول لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب، وكان يحب الحلوى والعسل، وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى وعقلى سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله

وهو إلى التحريم أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلى وقت أن يباح لى أكل الميتة : فإنه فعل برأيه المرذول . وحمل على النفس مع وجود الحلال . وقول أبى يزيد : القوت عندنا لله . كلام ركيك فإن البدن قد بنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام . وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع فى الضعف فإنه فعل ما لا يحل له ، وقول إبراهيم له أحسنتم يامبتدئون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لايجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأزهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبدالرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار .

قال المصنف رحمه الله قلت ، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عاليا محمد ابن عبد الباقى نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا احمد بن محمد الأسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال ، من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار .

قال المصنف رحمه الله وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لايستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيرادا مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع ، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لايرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسىء الخلق ، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوماً فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال ، لم أر لكم برمة تفور ، وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحما ، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم

لأجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب فى الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها فنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه وتعالى بردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الف ل مخالفاً للشرع والعقل ، ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ، ولقد عجبت لأبى حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغى للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه.

قال المصنف رحمه الله . وهذا قبيح فى الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى . أوليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة . أوليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان . أو ما أكل عند أبى الهيثم بن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً ، أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت . وتطعم الناقة الخبط والحمض . وهل البدن الا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم . ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الانسان إلى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها . وهذا طريق السلف فى ترك فضول الشهوات . والحديث الذى احتجوا به أحرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يداً بزيغ الراوى . وأما اذ اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش

فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر ، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمدانى عن شيخه عبد الله الجوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل.

قال المصنف رحمه الله : وهذا يورث القولنج الشديد . واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب فى المطعم أدب الشارع ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى . قال . سمعت المقدام بن معدى كرب يقول . سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه . فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه .

قال المصنف رحمه الله قلت . فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً فى مصلحتها . ولو سمع أبقراط هذه القسمة فى قوله . ثلث وثلث وثلث . لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليلا لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديده فلذلك يجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت . فإذا صابر الشاب الجوع وتثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الذهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وذكر العلماء التقلل الذى يضعف البدن . أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز

ابن على الأزجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبدالله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل . قال . له عقبة بن مكرم . هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم . فقال ما يعجبنى سمعت عبدالرحمن بن مهدى يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض . قال الخلال . وأخبرنى أبو بكر احمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح . قال قلت لعبدالرحمن بن مهدى . يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية. فقال . لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى جنون . بعضهم أخرجهم إلى الزندقة . ثم قال . خرج سفيان الثورى فى سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل . قال الخلال . وأخبرنى المروزى قال سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل . وقال له رجل : انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس . وربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل فقال. لعلك كنت تدمن الصوم . افطر وكل دسما وجالس القصاص .

قال المصنف رحمه الله . وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط جمة فتغتذى المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شىء تهضمه . فاذا هضمت ماعندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الردىء يخرج إلى الوساوس والجنون وسوء الأخلاق . وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط . ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً . ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة . وإنما السبب ماعرفتك . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبدالكريم قال حدثنى أبى قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها . فقالت : كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال . فلما كبرت زالت عنى . فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا . قال سمعت أبا على الدقاق يقول ماسمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة .

وقال المصنف . فان قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة . وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل وإن ابراهيم التيمي بقي شهرين . قلنا . قد يجرى للانسان من هذا الفن في بعض الأوقات غير انه لايدوم عليه . ولا يقصد الترقى اليه. وقد كان فى السلف من يجوع عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفي العرب من يبقى أياماً لايزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهى عن تجوع يضعف القوة ويؤذى البدن . واذا ضعف البدن قلت العبادة. فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع بالراكب . وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكي ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبدالله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه . وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : انه اشترى زبداً وعسلا وخبزاً حوارى . فقيل له : هذا كله تأكله فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى : فقد تخيره رسول الله ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ : أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال ان كان عندكم ماء بات فى شن وإلا كرعنا ، اخرجه البخارى. وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا .

قال المصنف : وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة، ويقوى

الشهوة ، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة ولذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سخن بالشمس خيف منه البرص، وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالي . اذا أكل الانسان مايستلذه قسا قلبه وكره الموت، واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت .

قال المصنف رحمه الله واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[1] ، ورضى منا بالافطار فى السفر رفقاً بها وقال ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2] أوليست مطيتنا التى عليها وصولنا وكيف لا نأوى لها وهى التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه ، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا فى الثلج فى الشتاء . والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ . وكذلك منعه إياها النوم؛ قال ابن عقيل، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام . وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الأموال لم يطلق لأربابها الا على وجوه مخصوصة.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً . وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبناً فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله ، وكل ذلك من الرفق بالنفس . وأما ما رتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها . وإنما يمدح الجوع اذا كان بمقدار . وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد . وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة

(١) سورة النساء آية (٢٩)   (٢) سورة البقرة آية (١٨٥)

وما فائدة قطع الفواكه المباحة واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى . وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له من أخلص لله أربعين صباحاً لم يجب الاخلاص (١) أبداً فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب . لأن الناس اما أصحاب نقل وأثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجلة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لاينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج .

قال المصنف رحمه الله قلت : من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

﴿ فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم ﴾

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين بن حكان ثنا عبدان بن يزيد العطار . وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبدالله محمد ابن عيسى البرورجردى ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا القاسم بن عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرى عن عبيدالله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب . قال : جاء عثمان بن مظعون إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك يا عثمان . قال . تحدثنى نفسى بأن أختصى . فقال : مهلاً يا عثمان

(١) من جب الشىء إذا قطع

فإن خصي أمتي الصيام قال يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن أترهب في الجبال قال مهلا ياعثمان ، فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال : يارسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض ، قال مهلا ياعثمان ، فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة ، قال يارسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله قال : مهلا ياعثمان فإن صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك ، قال : يارسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي ، قال . مهلا ياعثمان فإن هجرة أمتي من هجر ماحرم الله عليه ، أو هاجر إليّ في حياتي ، أو زار قبري بعد موتي ، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع قال . يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها ، قال . مهلا ياعثمان فإن الرجل المسلم إذا غشي أهله فإن لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة فإن كان من وقعته تلك ولد فإن كان قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة . قال . يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم قال . مهلا ياعثمان فإني أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمنيه في كل يوم لأطعمني ، قال : يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا أمس طيباً قال : مهلا ياعثمان فإن جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له ياعثمان لاترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي ، قال المصنف رحمه الله : هذا حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبي بردة ، قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة ، فقلن لها : مالك فما في قريش رجل أغنى من بعلك ، قالت : مالنا منه شيء ، أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم . فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه فقال : ياعثمان أمالك بي أسوة . فقال بأبي وأمي أنت وماذاك قال تصوم النهار وتقوم الليل . قال : إني لأفعل قال لا تفعل أن لعينك عليك حقاً ، وإن

لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم وصم وافطر . قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمى عن ابى قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذى هو فيه وقال : ياعثمان إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية مرتين أو ثلاثا . وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالى قال : أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامى. فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمى فخفض فى البصر ثم صعده ، قلت : أما تعرفنى ، قال . ومن أنت ، قلت : أنا كهمس الهلالى ، قال : فما بلغ بك ما أرى ، قلت : ماأفطرت بعدك نهاراً ، ولا نمت ليلا . قال : ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما ، قلت : زدنى قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت : زدنى . قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدورى نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ثنا حميد بن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبى قلابة بلغ به ﷺ أن ناسا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً ، وقال : لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال : إنى لم أرسل بالرهبانية ، إن خير الدين الحنيفية السمحة .

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا فى حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه ، وقال بكر بن عبد الله : من أعطى خيراً فرؤى عليه سمى حبيب الله محدثاً بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل .

﴿فصل﴾ قال المصنف رحمه الله : وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد فى الحد ، قد انعكس فى صوفية زماننا فصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة متقدميهم فى الجوع . لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلاهمة لأكثرهم إلا الأكل واللعب . فان أحسن محسن منهم قالوا : طرح شكراً . وإن أساء مسيء . قالوا : استغفر ، ويسمون مايلزمه إياه واجباً . وتسمية مالم يسمه الشرع واجباً جناية عليه . أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابورى ثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادى ، قال : قام أبو مرحوم القاضى بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة فى الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال إجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلاملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسي وخمس مكاكيك أرز ، وخمسة أمنان سمن ، وعشرة أمنان سكر ، وخمسة أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجىء بها كلها . فقال أبو مرحوم لأصحابه : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، قال : اخرقوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، مجراة فيها أنهارها فقال يا إخوانى إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر ، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، يجرى فيها أنهارها ، وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، قال : يا إخوانى ارموا الدنيا بحجارتها قال : فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ، فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا : مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، فقال يا إخوانى : مالنا وللدنيا

اضربوا فيها براحتها ، قال : فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخنس قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبي حاتم الرازى فقال إمله على فأمليته عليه فقال : هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ فى الأكل ثم اختار من الطعام فربما ملأ كيه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت شيخا منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد ﴾ *

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين ، أحدهما : أنه يلهى القلب عن التفكر فى عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته ، والثانى : أنه يميله إلى اللذات العاجلة التى تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث : الغناء رقية الزنا . وقد ذكر أبو جعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يقال له ثوبال . اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور .

قال المصنف رحمه الله : وهذا لأن الالتذاذ بشىء يدعو إلى الالتذاذ بغيره خصوصاً ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شىء إلى شىء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فان النظر إلى الأمرد مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز . وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع هناك فى الأغلب فان وجد شهوة حرم ذلك ، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا فنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الاباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبغى أن ينظر فى ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات فان أقواماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفى معنى هؤلاء الغزاة : فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو . وفى معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخراً عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والآدمى . إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال . وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة نا المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحترى وهب عن طلحه المكى عن بعض علمائهم : أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حادينا نام (١) فسمعنا حاديكم فملت اليكم . فهل تدرون انى كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يايداه يايداه (٢) فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتقت الحداء .

قال المصنف رحمه الله . وقد كان لرسول الله ﷺ حادى يقال له أنجشة يحدو فتعنق (٣) الابل . فقال رسول الله ﷺ : يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير

(١) فى النسخة الثانية . ان حادينا ونا - أى تعب .

(٢) فى النسخة الثانية وايداه مرة فقط .

(٣) العنق بفتحتين . نوع من السير سريع فسيح .

وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع . ألا تسمعنا من هنياتك. وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقول يقول .

لاهم لولا أنت مااهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فالقين سكينة علينا وثبت الاقدام إذ لاقينا

قال رسول الله ﷺ : من هذا السائق : قالوا ، عامر بن الأكوع فقال رحمه الله .

قال المصنف رحمه الله . وقد روينا عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به .

قال المصنف رحمه الله.ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده . ومنه ما أخبرنا بهابن الحصين ناابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبى ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعى ثنى الزهرى عن عروة عن عائشة رضىالله عنها . أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر ـ فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه . وقال . دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المصنف رحمه الله . والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب (١) اليها الجوارى فيلعبن معها . وقد أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا أبو إسحاق البرمكى أنبأنا عبدالعزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنامنصور بن الوليد

---

(١) فى الثانية : وهو تفسير يُسرب

ابن جعفر بن محمد حدثهم : قال . قلت لأبي عبدالله احمد بن حنبل حديث الزهرى عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين - أى شيء هذا الغناء . قال . غناء الركب : أتيناكم أتيناكم . قال الخلال وحدثنا احمد بن فرج الحمصى ثنا يحي بن سعيد ثنا أبوعقيل عن نهية عن عائشة رضى الله عنها . قالت : كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها . فقال رسول الله ﷺ ياعائشة إن الأنصار اناس فيهم غزل : فماقلت : قالت دعونا بالبركة : قال : أفلا قلتم :

أتيناكم أتيناكم   فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمـ   ـر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمرا   ء لم تسمن عذاريكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلح عن أبي الزبير عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنه : قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها : أهديتم الجارية إلى بيتها . قالت نعم. قال : فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول :

أتيناكم أتيناكم   فحيونا نحييكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل .

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ماكانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم . ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم :

ياغاديا فى غفلة ورائحا   إلى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا   يستنطق الله به الجوارحا
ياعجباً منك وأنت مبصر   كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار احمد بن حنبل فى الاباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمدانى نا أبو بكر بن لالى ثنا

الفضل بن الفضل الكندى قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلقانى يقول لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شىء تقول فيها فقال : مثل أى شىء قلت يقولون :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

فقال : أعد علىّ ، فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب ـ فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح ، يثيرون بها الأحزان والبكاء ، فينهى عنها لما فى ضمنها (١)

فأما الأشعار التى ينشدها المغنون المتهيئون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفونى من فضيحته ليته وافى وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغانى ألحاناً مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال ، وتثير حب الهوى ، ولهم شىء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجعجع القلوب . وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب والإيقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلاجل ، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وقبل أن نتكلم فى إباحته . أو تحريمه ، أو كراهته : نقول . ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه . ويحذر تلبيس إبليس فى إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التى يطلق عليها

(١) كذا فى النسختين : وقد سقط ذكر العلة

اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملا واحداً . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان . فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والاخوان فنقول .

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع ــ فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال ، فان تعلل فقال . إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعه فى دعج العينين ، ورقة الأنف ونقاء البياض ، قلنا له فى أنواع المباحات ما يكفى فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة . فان ميل الطبع شاغل عن ذلك ، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندى ولا يلفت قلبى إلى حب الدنيا الموصوفة فيه ــ فانا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم ان كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائباً عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف ، وأقبح القبيح البهرجة ، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى . ثم ان كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغى أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدى . والصبى الجاهل . حتى قال أبو حامد الغزالى . ان التشبيب بوصف الخدود . والأصداغ ، وحسن القد . والقامة . وسائر أوصاف النساء . الصحيح انه لا يحرم .

قال المصنف رحمه الله . فأما من قال انى لا أسمع الغناء للدنيا . وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطىء من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال انى أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لا تفكر فى الصنعة ــ والثانى انه يقل فيه وجود شىء يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه انه يعشق .ويقع الهيمان به . وإنما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء .

﴿ فصل ﴾ أما مذهب أحمد رحمه الله . فانه كان للغناء فى زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه . فروى عنه ابنه عبدالله انه قال : الغناء ينبت النفاق فى القلب ، لا يعجبنى . وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفى : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون . وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغبير (١) بدعة ، فقيل له : أنه يرقق القلب . فقال هو بدعة . وروى عنه يعقوب الهاشمى : التغبير بدعة محدث . وروى عنه يعقوب بن غياث (٢) أكره التغبير وأنه نهى عن استماعه .

قال المصنف : فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء ، قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له انهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها . قال المروزى . سألت أبا عبدالله عن القصائد . فقال . بدعة . فقلت له : انهم يهجرون . فقال لا يبلغ بهم هذا كله .

قال المصنف . وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه . فقال له صالح يا أبت أليس كنت تنكر هذا . فقال . إنما قيل لى انهم يستعملون المنكر فكرهته ، فأما هذا فانى لا أكرهه . قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر الخلال وصاحبه عبدالعزيز إباحة الغناء . وإنما أشار إلى ما كان فى زمانهما من القصائد الزهديات . وعلى هذا يحمل مالم يكرهه احمد . ويدل على ماقلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية . فاحتاج الصبي إلى بيعها . فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له أنها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة .

قال المصنف : وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لاتغنى بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق ، وهذا دليل على أن الغناء

---

(١) فى النسخة الثانية ـ يعقوب بن عيان ـ ولفظ التغبير هو تغبير الذكر بدعاء وتضرع كما ذكره المصنف بعد فى صحيفة ٢٣٠

محظور إذلولم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم . وصار هذا كقول أبي طلحة للنبي ﷺ . عندي خمر لأيتام ، فقال أرقها . فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه قال . كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح . فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا أبو اسحاق البرمكى نا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد بن محمد الديبثى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى ابن عثمان التمار قالا أخبرنا عبدالله بن أحمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع (١) قال سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال . إنما يفعله الفساق . أخبرنا هبة الله بن احمد الحريرى قال أنبا نا أبو الطيب الطبرى قال . أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده فانه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً .

﴿ فصل ﴾ وأما مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه . أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبي الطيب الطبرى . قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة : ابراهيم ، والشعبى وحماد ، وسفيان الثورى . وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك . قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيدالله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأساً .

---

(١) فى نسخة : الطباخ

﴿ فصل ﴾ وأما مذهب الشافعي رحمة الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن احمد نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهاني ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا احمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جياد ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول خلفت بالعرق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن .

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر أبو منصور الأزهري - المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا مايطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغبيراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى . وقال . الزجاج سموا مغيرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة. وحدثنا هبة الله بن احمد الحريري عن أبي الطيب طاهر ابن عبد الله الطبري قال قال الشافعي الغناء لهو مكروه يشبه الباطل . ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . قال . وكان الشافعي يكره التعبير . قال الطبري فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد [1] وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله ﷺ .عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار . وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية .

قال المصنف قلت .وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي رضي الله عنهم ينكرون السماع . وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانكار . منهم أبو الطيب الطبري وله في ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريري ومنهم القاضي أبو بكر محمد بن مظفر الشامي أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطي عنه . قال لايجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب . قال ومن أضاف إلى الشافعي هذا فقد كذب عليه . وقد نص الشافعي في كتاب أدب القضاء . على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم

(1) في النسخة الثانية : سعيد هنا وفيما تقدم عنه .

وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قلّ علمه وغلبه هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص والله الموفق .

﴿ فصل فى ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما ﴾

قال المصنف.وقداستدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى . فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات . الآية الأولى قوله عز وجل « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ »[1] أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحي بن على قالا نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبى معاوية عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو والله الغناء . أخبرنا عبدالله بن على المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ »[2] قال هو الغناء وأشباهه . أخبرنا عبدالله بن محمد الحاكم ويحي ابن على المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوى ثنا هدبه ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبدالجبار نا أبو إسحاق البرمكى نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سالت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعى .

الآية الثانية قوله عز وجل « وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ »[3] . أخبرنا عبد الله بن على نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا عبيدالله ابن عمر ثنا يحي بن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمه عن ابن عباس « وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ »[4] قال هو الغناء بالحميرية سمدلنا ـ غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى .

(١) سوره لقمان آية (٦)
(٢) سورة لقمان آية (٦)
(٣) سورة النجم آيه (٦١)
(٤) سوره النجم آية (٦١)

الآية الثالثة قوله عز وجل : « وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ (١) » . أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهرى نا عبدالله بن إبراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمى عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد : « وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ (٢) » . قال هو الغناء والمزامير .

اما السنة . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبدالله ابن احمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه . أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق. وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا .

قال المصنف رحمه الله ، إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزامورهم. أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبى ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنا عبيد بن عبدالواحد بن شريك البزار ثنا ابن ابى مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن. وقال ثمنهن حرام . وقرأ « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٣) »

اخبرنا عبدالله بن على المقرى نا ابو منصور محمد بن محمد المقرى نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن احمد بن عبدالرحمن الجمحى ثنا منصور ابن أبى الأسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة. قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء . وقال ثمنهن حرام . وقال فى هذا أو نحوه . أو وقال شبهه نزلت على « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (٤) » وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتد

---

(١) سورة الاسراء آية (٦٤)

(٢) سورة الاسراء آية (٦٤)

(٣) سورة لقمان آية (٦)

(٤) سورة لقمان آية (٦)

فانه أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذى يسكت . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والإستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشترى لهو الحديث . وروى عبدالرحمن ابن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة .

أخبرنا ظفر بن على نا أبو على الحسن بن احمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى رباح عن بن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكى وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان .

أخبرنا عبدالله بن على المقرى نا جدى أبو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو على احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد ابن سويد الطحان ثنا عاصم بن على ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نخام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه . أن النبي ﷺ قال . بعثت بهدم المزمار والطبل .

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعى ثنا عبدالله ابن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على . قال قال رسول الله ﷺ . بعثت بكسر المزامير.

أخبرنا أبو الفتح الكروجى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا صالح بن عبدالله ثنا الفرج بن فضالة عن يحي بن سعيد عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة

حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف قال الترمذى وحدثنا
على بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامى عن أبى
هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفيء دولا ، والأمانة مغنما، والزكاة
مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه
وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم وكان
زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف،
وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً
حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه
فتتابع . وقد روى عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ أنه قال . يكون فى أمتى
خسف وقذف ومسخ . قيل يا رسول الله متى . قال . إذا ظهرت المعازف
والقينات واستحلت الخر . أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى
فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسدابادى نا
أبو منصور المقومى نا أبو طلحه القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم
القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجانى ثنا
عبد الرازق أخبرنى يحي بن العلاء أنه سمع مكحولا يقول أنه سمع يزيد بن
عبدالله يقول أنه سمع صفوان بن أميه قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء
عمرو بن قرة فقال يا رسول الله . أن الله عز وجل قد كتب على الشقوة
فما أرانى أرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء فى غير فاحشة . فقال له
رسول الله ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت يا عدو الله
لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
ما أحل الله لك من حلاله . ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت .
قم عنى وتب إلى الله عز وجل . أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك
ضرباً وجيعاً . وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك . وأحللت سلبك
نهبة لفتيان المدينة . فقام عمرو وبه من الشر والخزى ما لا يعلمه إلا الله عز
وجل . فلما ولى قال رسول الله ﷺ هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة
حشره الله عز وجل عريان لا يستتر بهدبة كلما قام صرع .

وأما الآثار فقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل . وقال . اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال : تغنه فان لم يحسن . قال له : تمنه . ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى . قال ألا لا سمع الله لكم . ومر بجارية صغيرة تغنى فقال: لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه . وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال : أنهاك عنه وأكرهه لك . قال : أحرام هو ؟ قال أنظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل فى أيهما يجعل الغناء وعن الشعبى . قال لعن المغنى والمغنى له . اخبرنا عبدالله بن على المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد بن محمدنا أبو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى الحسين ابن عبدالرحمن ثنى عبدالله بن الوهاب قال أخبرنى أبو حفص عمر بن عبيدالله الأرموى . قال . كتب عمر بن العزيز الى مؤدب ولده ليكن أول مايعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان جل وعز . فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب . ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه . وقال فضيل بن عياض . الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد يا بنى أمية إياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعل السكر . فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا .

قال المصنف رحمه الله قلت : وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بذم الهوى . أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه . قال : كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه : فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذ استمدها بيده ، وأشار اليها فاذا هى ساهية .

مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر .
فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت . فاذا صوت رجل يغنى فأنصت له حتى
فهم ما يغنى به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح
أذن للناس إذناً عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه
ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل .
فقال : هل بقى أحد يسمع منه . فقام رجل من القوم فقال . يا أمير المؤمنين
عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان ، قال . وأين منزلك من العسكر فأومى
إلى الناحية التى كان الغناء منها . فقال سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما
فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له ، ما إسمك ؟ قال ، سمير ، فسأله عن
الغناء . كيف هو فيه فقال حاذق محكم . قال ومتى عهدك به . قال . فى ليلتى هذه
الماضية . قال . وفى أى نواحى العسكر كنت فذكر له الناحية التى سمع منها
الصوت . قال . فما غنيت فذكر الشعر الذى سمعه سليمان . فأقبل سليمان فقال
هدر الجمل فضبعت الناقة وهب التيس فشكرت الشاة ، وهدل الحمام فزافت
الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به فخصى . وسأل عن الغناء أين
أصله وأكثر ما يكون . قالوا : بالمدينة وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والائمة
فيه فكتب إلى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :
أن أخصى من قبلك من المخنثين المغنين .

قال المصنف رحمه الله : وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن
الاعتدال ويغير العقل . وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه
فى حال صحه من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه
إلى غير ذلك مما يفعه ، أصحاب العقول السخيفة ، والغناء يوجب ذلك بل يقارب
فعله فعل الخمر فى ت .طيه العقل . فينبغى أن يقع المنع منه . أخبرنا عمر بن
ظفر نا جعفر ، احمد نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابن جهضم ثنا يحيى
ابن المؤمل . بو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز . قال ذكر عند محمد
ابن منصور أصحاب القصائد فقال : هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو
ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم فى سرائرهم مايشغلهم عن كثرة التلاق.

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العبادى. قال قال أبو عبدالله بن بطة العكبرى . سألنى سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة . يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء . يسمعونه من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه. تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيرا .

﴿ فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء ﴾

فنها حديث عائشة رضى الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض الفاظه دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث . فقال : أبو بكر أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ . فقال رسول الله : دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وقد سبق ذكر الحديث : ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الانصار .فقال النبى ﷺ ياعائشة ما كان معهم من اللهو . فإن الانصار يعجبهم اللهو ـ وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبى ﷺ أنه قال : الله أشد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته . قال ابن طاهر : وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ . أنه قال : ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن.ومنها حديث حاطب عن النبى ﷺ أنه قال : فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف .

والجواب . أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعروسمى بذلك غناء لنوع يثبت فى الانشاد وترجيع ومثل ذلك لايخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر

عند نفوس قد تملكها الهوى ما هـذا الامغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت . لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد.وإنما ينبغى للمفتى أن يزن الأحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هنـاك طبع هيهات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعى أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخالق فقد استعمل فى حقه مالا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى مايجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر . فأخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال.هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبى ﷺ على أبى بكر قوله وإنما منعه من التغليظ فى الانكار لحسن رفعته لا سيما فى يوم العيد . وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها .

قال المصنف رحمه الله : وأما اللهو المذكور فى الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره.وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً . فإن الانسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالا أو حراماً لا يمنع من التشبيه.وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لا تنشف الأعضاء منه لأنه اثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد.فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة .وان افترقا فى الطهارة والنجاسة.واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح

فقه الصوفية لا علم الفقهاء . وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغني به وفسره الشافعي فقال . معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا . وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا - فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصري يقول ليس الدف من سنة المرسلين في شيء . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله ﷺ . وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس .

قال المصنف رحمه الله قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل .

أخبرنا عبدالله بن علي المقرى نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبدالله بن عبيدالله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا عبيدالله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبي اسحق عن عامر بن سعد البجلي قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بدرياً فوجدته في عرس له قال واذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا أن رسول الله ﷺ رخص لنا في هذا .

أخبرنا عبدالله بن علي نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبدالملك بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعني الدف .

قال المصنف رحمه الله . وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر في الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فنهم أبو نعيم الأصفهاني فانه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم .

قال المصنف رحمه الله : وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه أنه استلقى يوماً فترنم فانظر الى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب . وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشيا لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشيء فنها أنه قال

فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه . قال ، استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل . قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما . فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما اعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر وما مثله الا كمثل من قال . يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال ، يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقد نسى أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء . وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا أبو محمد التيمى قال ، سألت الشريف أبا على بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال . ما أدرى ما أقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التيمى سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التيمى شيخ الحنابلة . فقال: أبو على لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى فى حادثة بسنة . ومعهم أبو عبدالله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئاً فقال: وهم يسمعون .

خطت أناملها فى بطن قرطاس ... رسـالة بعبير لا بأنفاس
أن زرفديتك قف لى غير محتشم ... فان حبك لى قد شاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها ... قف لى لأمشى على العينين والرأس

قال أبو على فبعد ما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا أباحة.

قال المصنف رحمه الله . وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على انه

أنشد... غني بها بقضيب وغدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغي أن يفتي بالإباحة وان كان ينظر في الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتي بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر في كتابه: باب إكرامهم للقوال وإفرادهم الموضع له ـ واحتج بأن النبي ﷺ رمى بردة كانت عليه الى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد. وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط. وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجي ثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد المقرى ثنا أبي ثنا علي بن أحمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني ابراهيم بن عبدالله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزني قال مررنا مع الشافعي وابراهيم بن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم.

خليلي ما بال المطايا كأننا ... نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي. ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت قال الشافعي لابراهيم: أيطربك هذا. قال لا. قال. فما لك حس.

قال المصنف رحمه الله قلت. وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله. ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري. قال: أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فان أصحاب الشافعي قالوا. لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافعي: وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته. ثم غلظ القول فيه فقال وهو دياثة.

قال المصنف رحمه الله. وإنما جعل صاحبها سفيهاً فاسقاً لانه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي عن أبي محمد

التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى . قال : اشترى سعد بن عبدالله الدمشقى جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكى فى كتابه قال أدركنا مروان القاضى وله جواري يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية . قال: وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقى فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وان صحت الحكاية عن مروان (١) فهو فاسق والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعى رضى الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فالوا إلى الهوى . وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أنبأنا الحاكم أبو عبدالله النيسابورى . قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفى فى دار أبى بكر الأبريسمى للسماع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات .

قال المصنف: قلت . وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفى عليه أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا فى كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حاف فى عدالته .

قال المصنف رحمه الله . فان قيل ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عمر بن عبدالله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبدالله يقص فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب . قال المغيرة . فأرسلت اليه أو أردت أن أرسل اليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحق. وان صنيعك هذا صنيع أحمق . فالجواب أنا لانظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهى ملكه . فقال: له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن :

---

(١) فى النسخة الثانية أبى مروان

وقد ذكر أبو طالب المكي أن عبد الله بن جعفر ـ كان يسمع الغناء .

قال المصنف رحمه الله . وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التي ذكرها عن الشافعي وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن احمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمي قال حدثنا الحسين بن احمد قال سمعت أبا العباس الفرغاني يقول سمعت صالح بن احمد بن حنبل يقول : كنت أحب السماع وكان أبي احمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام وأخذ يغني فسمعت حس أبي فوق السطح فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففي بعض الطرق عن صالح قال . كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي وكان يقول ويلحن وكان أبي في الزقاق يذهب ويجيء ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت نا احمد بن علي بن الحسين النوري ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي أظنه عن عبد الله بن احمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي وكان يقول ويلحن وكان أبي ينهاني عن التغني فكنت إذا كان ابن الخبازة عندي أكتمه عن أبي لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندي وكان يغني [1] فعرضت لأبي عندنا حاجة وكنا في زقاق فجاء فسمعه يغني فتسمع فوقع في سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبي ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد . قال لي : يا بني إذا كان هذا : نعم . . الكلام أو معناه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التي فيها ذكر الآخرة . ولذلك استمع اليه احمد ، وقول من قال يتزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالا . وأما رواية ابن طاهر التي فيها فرأيته وذيله تحت أبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير

(١) في النسخة الثانية وكان يقول أي ينشد بدل قوله ويغني في المكانين .

الرواة وتغييرهم لا يظنونه المعنى [1] تصحيحاً لمذهبهم فى الرقص. وقد ذكرنا القدح فى السلمى وفى ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفى لا أصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريرى عن أبى طالب الطبرى قال قال بعضهم. انا لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام: قال وهذا تجاهلٌ منه عظيم لأمرين. أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لأنه يسمعه بالطبع الذى لا يشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق. والثانى أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات. وهذا لا يقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة: قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك.

اخبرنا ابن ناصر نا احمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول: سئل أبو على الروذبارى عن سمع الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم. قد وصل لعمرى ولكن الى سقر.

قال المصنف رحمه الله. فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به. قلنا. لا ينكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لالأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول،

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

---

[1] كذا فى النسختين وفى العبارة نقص أو تصحيف بالمعنى اه.

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين . وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الأبيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع . ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه .

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم بمجموعها أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فان أفراد المباحات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال : ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شىء محظور حرم نثره ونظمه ، وحرم التصويت به .

قال المصنف رحمة الله : قلت : وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج ، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم .

وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك . وقال ابن عقيل : الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما ماثلها ، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك . ويلحق به الجرافة [1] والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور . لأن النبي ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة ، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول ، والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول (٢) نفسه

(١) فى الثانية : الحراية وهذه كلها أسماء لآلات الملاهى وفى نسخة الجرانة .

(٢) وفى نسخة كالعود .

والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل . وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه .

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى :

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : أن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا)[1] وما قال : وإذا أنشدت عليه القصائد طربت . فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنه . ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت مفتون . بل ينبغي النظر إلى المحال التى أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فانها منظورات لا تهيج طبعا بل تورث استعظاما للفاعل . وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم زنادقة فى زى عباد ، شرهين فى زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه . ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهى تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية فى الأشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو أقربه إليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق . وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما هؤلاء يصورون الباري سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب ، وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه

---

(١) سورة الأنفال آية (٢)

الأنفس وإنما مباينة الإلهية للحدث أوجبت فى الأنفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله فى محبة الله إنما هو وهم اعترض . وصورة شكلت فى نفوس حجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ماينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التى يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه . أخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا بن جهضم ثنى أبو عبدالله المقرى ثنا عبدالله بن صالح قال قال لى جنيد : إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبدالله بن باكويه قال سمعت احمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه : إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره .

قال المصنف رحمه الله : هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين . أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا . والثانى أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن احمد بن يحيى السجستانى قال سمعت أبا نصر السراج يقول . حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أساله عنه يقول إيش تفعل بذلك

الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبنى دائماً فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه . ثم قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هوذا أقرأ القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذا البيت . وانبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول . فأخرجت إلى مرو فى حياة الاستاذ أبي سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتداخلنى من ذلك شىء فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لى يوماً . أى شىء تقول الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول . فقال من قال لأستاذه لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله . هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله . فإن الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط .

﴿ فصل ﴾ وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال حدثنا أبى قال سمعت أبا على الدقاق يقول . السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح الزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها اناقد

ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه يباح سماعه لكل أحد. وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل. والثاني أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال. فاذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة. والثالث أن العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال. والرابع أن الاجماع انعقد على انه ليس بمستحب وإنما غايته الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع.. والخامس انه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما حرم لأنه يؤثر في الطباع ويدعوها إلى الهوى فاذا أمن ذلك فينبغي أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبري.

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله. وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل. قال أبو طالب المكي. حدثني بعض أشياخنا عن الجنيد انه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن. عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة. وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون في مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت، وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فانها توجب الرقة والبكاء، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات الباري سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع. ويدل على ما حملنا الأمر عليه انه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال. فحدثني أبو جعفر احمد بن أزهر بن عبدالوهاب السباك عن شيخنا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروزبادي شيخ رباط الزوزني صديقاً لي، فكان يقول لي والله إني لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم. وقال ابن عقيل. قد

سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ، قال والناس بين تحريمه وكراهيته . أخبرنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت قال أخبرني علي بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثني أبو همام قال حدثني ابراهيم بن أعين قال قال صالح المري ، أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة ، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبدالكريم القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبدالله ابن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندي يقول سمعت علياً السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف ، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا ، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال أرقصوا فرقصوا أطيب ما يكون . ثم قال لي يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت ، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ . وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبدالباقي قال أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : « وأن جهنم لموعدهم أجمعين » : صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال أخبرنا احمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين

ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد القرشى قال اخبرنا على بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبى وائل . قال خرجنا مع عبدالله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبدالله ينظر إلى حديدة فى النار فنظر الربيع اليها فمال ليسقط ثم أن عبدالله مضى حتى أتينا على أتون على شاطىء الفرات فلما راه عبدالله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية : « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » إلى قوله « ثبوراً كثيراً » فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبدالله حتى يصلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبدالله إلى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح ، وهذا كثير فى كتب الزهد : والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا . وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه مغمز . أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامى قال أخبرنا أبو الحسن احمد بن محمد العتيق قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلانى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى : قال قال احمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبى وائل لا أعرفه . قال العقيلى : وحدثنا عبدالله بن احمد قال حدثنى أبى قال حدثنى بن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروى هذا إنما كان يرويه ذاك القاص - يعنى عيسى بن سليم - فلقيته فقلت . عمن تروى أنت ذا - منكراً عليه

قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا سفيان الثورى ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الأول ، وما كان فى الصحابة من يجرى له مثل هذا ولا التابعين . ثم نقول على تقدير الصحة . ان الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب . فأما من يدعى الوجد

ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال اخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول : كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فحرد أبو عمران وأهل حلقته.

قال المصنف رحمه الله . واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب . وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع . فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله ﷺ في الإنكار عليه .

فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وانبأنا ابن الحصين قال انبأنا أبو علي ابن المذهب قال اخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال حدثنا عبد المتعال ابن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال . وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق . فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله . قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك . قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد

قال المصنف رحمه الله: وهذا حديث العرباض بن سارية : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب. قال أبو بكر الآجري ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان . أخبرنا عبد الله بن علي المقرى قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن ابراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصري قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي قال حدثنا حصين

ابن عبد الرحمن . قال قلت لأسماء بنت أبي بكر . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن ، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم . فقلت لها إن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال . سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت . لا ولكنهم كانوا يبكون .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التيمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد ابن عبدالرحمن الجمحي عن أبي حازم قال . مر ابن عمر رضي الله عنه برجل ساقط من العراق . فقال . ما شأنه ؟ فقالوا . إذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا . قال : انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط .

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي نا أبو الحسين بن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبدالله بن أبي بردة عن ابن عباس . أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن . فقال انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون .

أنبأنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج الشامي ثنا شبيب بن مهران عن قتادة . قال قيل لأنس بن مالك . ان ناساً إذا قرىء عليهم القرآن يصعقون فقال . ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا عمر ابن علي بن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبدالله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال بلغ عبدالله بن الزبير ان ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون

عند قراءة القرآن. فقال له. يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلداً.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثنى عبدالله بن مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير قال ثنى أبي عن عامر بن عبدالله بن الزبير قال. جئت إلى أبي فقال لي، أين كنت. فقلت. وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم. يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال. لاتقعد معهم بعدها. فرآني كأني لم يأخذ ذلك فيّ فقال. رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر. فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم.

أخبرنا محمد بن عبدالباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن احمد في كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النميري ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال: بينا نحن عند أبي الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقيل له، يا أبا الجوزاء، انه رجل به الموتة فقال: إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال «تفيض أعينهم من الدمع» أو قال «تقشعر جلودهم»

أخبرنا أبو محمد بن علي المقرى نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبدالله البصرى ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيد في عمر بن مالك البكرى قال قرأ قارىء عند أبي الجوزاء قال فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم. فقام اليه أبو الجوزاء فقيل له. يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال طيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه. وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه. فقال محمد بن سيرين. يقعد

أخذهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن (١) من أوله الى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حيان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران بن عبدالعزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق . فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العشاري نا محمد بن عبدالله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا محمد بن علي عن ابراهيم بن الأشعث . قال سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل في مجلسه . فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكت.

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثني أبي ثنا روح ثنا السري بن يحيى ثنا عبدالكريم بن رشيد قال . كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكي وارتفع صوته . فقال الحسن إن الشيطان ليبكي هذا الآن .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلاني نا أبو العلاء الواسطي نا محمد بن الحسين الأزدي ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن ابراهيم البغدادي قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يا بني إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه . فقال له . يابني إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك ، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

---

(١) في الثانية : المصحف بدل القرآن

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل إنما يفرض الكلام فى الصادقين لا فى أهل الرياء . فما تقول فمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج فى الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختيانى إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام . وان أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن بن أخى زينب عن امرأة عبدالله قالت جاء عبدالله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطا . فقال ما هذا الخيط . قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا ، وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس إشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لايغادر سقماً .

قال المصنف رحمه الله : التولة ـ ضرب من السحر يحبب المرأة الى زوجها . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبى السنى عن أبى عيسى أو عيسى . قال . ذهبت إلى عبدالله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبدالرحمن ان قوماً عندنا إذا قرىء عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله . قال كذبت . قال بلى ورب هذه البنية . قال ويحك إن كنت صادقاً فان الشيطان ليدخل جوف أحدهم . والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ .

﴿فصل﴾ فإن قال قائل. فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق انه لا يقدر على أن يدفع ، ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل « وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا »[1]

وقد أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا احمد بن احمد نا احمد بن عبدالله ثنا ابراهيم بن عبدالله ثنا محمد بن إسحق الثقفى ثنى حاتم بن الليث الجوهرى ثنا خالد بن خداش . قال . قرىء على عبدالله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام .

قال المصنف رحمه الله قلت . وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشي عليهم قلنا . هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره انه متعمل والشيطان معين عليه .

قال المصنف رحمه الله . فان قيل فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل . نعم من جهتين . أحدهما انه لو قوى العلم أمسك . والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً .

أخبرنا عبدالله بن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السنى وأخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى قالا نا أبو الحسين ابن بشران نا أبو على اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول . كان خوات يرعد عند الذكر فقال له ابراهيم . إن كنت تملكه فما أبالى أن لا أعتد بك . وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك .

قال المصنف رحمه الله قلت : ابراهيم هو النخعى الفقيه ، وكان متمسكا بالسنة شديد الاتباع للأثر . وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب ابراهيم له . فكيف بمن لا يخفى حاله فى التصنع .

﴿فصل﴾ فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا . أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا رزق الله بن عبدالوهاب التميمى نا أبو عبدالرحمن السلمى .

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٣)

قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله قلت . والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال . « وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً »[1] ـ فالمكاء الصفير ـ والتصدية ـ التصفيق . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو علي بن شاذان نا احمد ابن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى أبي ثنى عمي عن أبيه عن جده عن بن عباس « إلا مكاء » يعني التصفير « وتصدية » يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله قلت : وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

﴿ فصل ﴾ فاذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب : « ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ »[2]

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء . قال بن عقيل أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى « ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ »[3] دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع ، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلي : أنت مني وأنا منك ـ فحجل وقال لجعفر ـ أشبهت خلقي وخلقي ـ فحجل وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ـ فحجل . ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي ﷺ ينظر اليهم . فالجواب : أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص ، وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشييب يفعل عند اللقاء بالحرب .

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمي على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو

---

(١) سورة الانفال آية (٣٥) (٢) سورة ص اية (٤٢)

(٣) سورة البقرة آية (٦٠)

نصر محمد بن منصور الهمداني نا إسماعيل بن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبوعبد الرحمن السلمي ثنا أبوالعباس احمد ابن سعيد المعداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس الرقيق ثنا عبدالله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن علي بن منصور ثنا أبو عتاب المصري عن ابراهيم ابن محمد الشافعي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحداء يتغنى في دار العاص بن وائل بهذا :

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت   به زينب في نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميري أعرضت   وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب . قال المصنف قلت : هذا إسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب ، ولا هذا شعره . كان ابن المسيب أوقر من هذا ، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبدالله بن نمير النميري الشاعر ولم يكن نمرياً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقفي وزينب التي يشبب بها هي بنت يوسف أخت الحجاج ، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان ، فقال : كانت أحمرة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه .

قال المصنف رحمه الله : ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس في ذلك حجة على جواز الرقص ، فان الانسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقها بيده لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً . فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذي يخرجون به عن سمت العقلاء ، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى المعقول أي معنى في الرقص إلا اللعب الذي يليق بالأطفال ، وما الذي فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة . هذه والله مكبر باردة . ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب ، وقال أبو الوفاء ابن عقيل . قد نص القرآن على النهي عن الرقص . فقال عز وجل : « وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا »[1] وذم المختال فقال تعالى « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »[2] .

---

(١) سورة لقمان آية (١٨)   (٢) سورة لقمان آية (١٨)

والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الاطراب والسكر . فما بالنا لانقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب، وهل شىء يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف اذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصاً اذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن زيدان ، وعبدالملك بن بشران، وأبى طاهر بن العلاف ، والجنيد والدينورى .

﴿ فصل ﴾ فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد فاذا قام قام الباقون تبعاً له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له . ولايخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب ، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلا له .

﴿ فصل ﴾ فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب , أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذى ذكر فى القرآن إلقاءها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت ، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا انه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا . كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم . ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى فى الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة

فسئلت عن صلاته ، فقلت : إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلداً لايعمل شيئا بل يدار له بزنبيل فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين . ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غالبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل . فإنهم لا يعقلون ما يفعلون . قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب . واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت . نصبت حجلة لى فيها رقم فدها النبي ﷺ فشقها .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحطه فانشق لا عن قصد . أو كان عن قصد لأجل الصور التى كانت فيه : وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد .

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن على بن حشيش ثنا عبدالله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال سمعت أبا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه . أيشرح لى عن قلبه .

﴿فصل﴾ وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية . فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا.

قال المصنف رحمه الله . لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية . فإنا ما عرفنا هذا فى أوائلهم وبيان فساد استخراجه أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جاز له تخريقه وإن كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لاهبة ولا تمليكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذى يقع من الأنسان ولا يدرى به فلا يجوز لأحد أن يتملكه وإن كان رماه فى حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغنى لم يتملكه لأن التملك لا يكون إلى بعقد شرعى والرمى ليس بعقد: ثم نقدر أنه ملك للمغنى فاوجه تصرف الباقين فيه. ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين : أحدهما انه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى أنه اضاعة للمال. ثم ما وجه أسهام من لم يحضر فأما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى من شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه . وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء. وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بآرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه مايراه المشايخ. واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه : الغنيمة لمن شهد الواقعة. وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الانصارى فجعل الخرقه على ضربين . ما كان مجروحا قسم على الجميع وما كان سليما دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل؟ قالوا : سلمة بن الأكوع : قال له سلبه أجمع . فالقتل إنما وجد من جهه القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخواني عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه : ثم إن سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه مارمي به ثم ينبغي أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصاري لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغي أن يكون المجروح للمغني دون الصحيح وكل أقوالهم في هذا محال وهذيان وقد حكى لي أبو عبد الله التكريتي الصوفي عن أبي الفتوح الاسفرايني وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر في جمع كثير في رباط وهناك المخاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقي مكشوف الرأس قال التكريتي إنه رقص يوماً في خف له ثم ذكر أن الرقص في الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا ، قال ابن طاهر : والدليل على أن الذي يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن في صدقتك . قال المصنف : أنظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معاني الأحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

﴿فصل﴾ وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريقها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغني لم يملكه بنفس الرمي حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط ، فقلت : وهل التفريط إلا هذا ، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقا في بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير فقلت له : إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر . وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسي فانه قال : يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعي فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة

فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل[1] لا انتفع بها ولو كسر السيف نصفين لا انتفع بالنصف غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلافاً ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلبيس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين .

﴿ فصل ﴾ ولقد أغربوا فيما ابتدعوا . وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال . ولقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه باب السنة في أخذ شيء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته : يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها . واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي ﷺ أنه قال في الزكاة « من منعها فانا آخذها وشطر ماله » .

قال المصنف رحمه الله . قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً كفر . ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافي الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه في الاحرام ما كان له وجه . وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتي ان انخلع من مالي ، فقال له رسول الله ﷺ « يجزئك الثلث لا على سبيل الالزام له . وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة بما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الإلزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده . وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقاً .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفيه في صحبة الأحداث ﴾

قال المصنف . اعلم أن أكثر الصوفيـة المتصوفة قد سدوا على انفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن

(١) القرامل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأة شعرها .

واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصدالزهادة فأمالهم إبليس اليهم، واعلم أن المتصوفة فى صحبة الأحداث على سبعة أقسام: القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول: أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد بن سليمان نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبدالله بن على السراج قال بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية ، ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات ، وذكر أبو عبدالله بن حامد من أصحابنا : أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود . القسم الثانى : قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم ، ويقصدون الفسق . القسم الثالث : قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن . وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه سنن الصوفية فقال فى أواخر الكتاب : باب فى جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن . وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال : اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، وانه قال : ثلاثة تجلو البصر : النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله : وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول ﷺ أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبدالرحمن بن محمد بن المظفر نا عبدالله بن احمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال . اطلبوا الخير عند حسان الوجوه . قال يحيى بن معين محمد بن عبدالرحمن ليس بشىء . قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلى لا يثبت عن النبى عليه السلام فى هذا شىء ، وأما الحديث الآخر فأنبأنا أبو منصور بن خيرون نا احمد بن على بن ثابت نى احمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى نا أبو بكر محمد بن احمد بن هرون نا احمد ابن [illegible] عبيد الريحانى قال سمعت أبا البخترى وهب بن وهب يقول : كنت

أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر اليه فقال : أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك . قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس فيّ . وأما ادمان النظر اليه فان جعفراً الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ . ثلاث يزدن فى قوة النظر . النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله : هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء فى أبى البخترى انه كذاب وضاع ، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين ، ثم قد كان ينبغى لأبى عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن . وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى جواز النظر إلى المرد .

قال المصنف رحمه الله : قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر اليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى . قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام أمرد فاتهموه . القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه فى الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع . أخبرتنا شهدة بنت احمد الأبرى قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبدالله بن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبى النضر الغنوى وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت علىّ أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة

فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضي فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير ومن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظري اليه وجهاً جل عن التشبيه وتمدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه وموالاتي لأوليائه حتى أصير الى ما أردته من نظري الى وجهه الكريم وبهائه العظيم . ولوددت أنه قد أراني وجهه وحبسني في النار ما دامت السموات والأرض ثم غشي عليه . وحدثنا محمد بن عبدالله الفزاري قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له : بعد أن قام انك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون . فقال لي تقول هذا : يا شهواني القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعني من الوقوع في شرك إبليس ثلاث فقلت وما هي قال سر الإيمان وعفة الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع عليَّ وأنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا .

قال المصنف رحمه الله : قلت أنظروا الى جهل الأحمق الأول ورمزه الى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم . ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تكذبها شهوة النظر . وقد حدثني بعض العلماء أن صبياً أمرد حكى له قال قال لي فلان الصوفي وهو يحبني : يا بني لله فيك اقبال والتفات . حيث جعل حاجتي اليك . وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد الغزالي وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر الى الورد تارة . والى الأمرد تارة . فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا . فقال : أي والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف انه كتب اليه في رقعة انك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله قلت : انى لا أعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس . وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : بلغنى عن هذه الطائفة التى تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى «وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ»[1] وقال « أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ»[2» وقال : « أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ»[3] فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه ، وإنما تفعل هذه الطائفة ماذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر . قال أبو الطيب وقد أخبر بعضهم فى شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال:

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا ... على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى ... فأسكرت النفوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشاوى ... سروراً والسرور هناك صاحى
اذا لبى أخو اللذات فيه ... منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً ... أرقناها لألحاظ ملاح

قال فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ماذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعاً أو يفيد فائدة . قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء . فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص . وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى : «قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ»[4] وقال « أفلا ينظرون إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ»[5] فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ

(١) سورة الذاريات آية (٢١)
(٢) سورة الغاشية آية (١٧)
(٣) سورة الاعراف آية (١٨٥)
(٤) سورة النور آية (٣٠)
(٥) سورة الغاشية آية (١٧ ــ ١٩)

فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة . ولا تعتريها لذة فأما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة . ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً . كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه . وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين . القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أنشدنا أبو علي الروزباري .

أنزه في روض المحاسن مقلتي   وأمنع نفسي أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه   على الجبل الصلد الاصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله : وسيأتي حديث يوسف بن الحسين . وقوله : عاهدت ربي أن لا أصحب حدثا مائة مرة ففسخنا على قوام القدود وغنج العيون . أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبي المختار الصي قال : حدثني أبي قال قلت لأبي الكميت الأندلسي وكان جوالاً في أرض الله حدثني بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان وكان مجوسيا فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاما جميلا لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فاذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى علي سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم يقول ياليل إشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من

عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم، قال فوالله يا أخى إنى لأدارى من قلبي مالو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقاً بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله[1] وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزه الصوفى رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظما من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجل" الله عز وجل أن يصيبه معي طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلوتى صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار.

قال المصنف رحمه الله: هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش لحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة إن لم يهلك.

﴿فصل﴾ وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد. أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال: قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه، فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا وإليه مائلا. فقال والله لقد فارقته عن غير قلا ولا ملل. قلت ولم فعلت ذلك؟ قال: رأيت قلبي يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن.

---

[1] هكذا الأصل ولعل الجواب محذوف.

﴿ فصل ﴾ ومنهم من تاب وأطال البكاء عن إطلاق نظره . أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن عبيد الله . قال سمعت أخي أبا عبدالله محمد بن محمد يقول : سمعت خيراً النساج يقول : كنت مع أمية بن الصامت الصوفي إذ نظر إلى غلام فقرأ «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (١) ثم قال . وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ماامتحنني به من نظري إلى هذا الغلام ما شبهت نظري اليه إلا بنار وقعت على قصب في يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال . استغفر الله من بلاء جنته عيناي على قلبي . لقد خفت ألا أنجو من معرته ولا أتخلص من اثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا . ثم بكى حتى كاد يقضي نحبه فسمعته يقول في بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء .

﴿ فصل ﴾ ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة .أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبي حمزة الصوفي قال . كان عبدالله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن في بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحباً وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوماً لأعوده . فقلت يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذي بلغ بك ماأرى ، فقال ، أمورامتحنني الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لي بها طاقة ، ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير،وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت مايبكيك؟ قال أخاف أن يطول في النار شقائي فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال ، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشي عليه ، فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لايقوم عليهما زماناً طويلا فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لايخبرنا بقصته ولا سبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش اليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فمازال يعوده حتى قام على رجليه

(١) سورة الحديد آية (٤)

وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألني أن أسأله أن يتحول اليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ، وما الذى تكره من ذلك، فقال، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

﴿ فصل ﴾ وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه. حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني قال، كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه ان دعته إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى «فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ»(1) فغرق في البحر.

قال المصنف رحمه الله. أنظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى ادمان النظر اليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه، ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام. عفى لأمتي عما حدثت به نفوسها، ثم إنه ندم على همته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ»(2) ونحن نهينا عنه بقوله تعالى «وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ»(3) فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال، من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.

﴿ فصل ﴾ وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه. بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذى هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له بالله عليك الا ما أقدتني به، فقال الآن قد عفوت عنك: فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدى له الثواب.

---

(1) سورة البقرة آية (٥٤)
(2) سورة البقرة آية (٥٤)
(3) سورة النساء آية (٢٩)

﴿فصل﴾ ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة ، والحديث باسناد عن إدريس بن إدريس قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال : يا هذا قل لا إله إلا الله ، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله . (القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فيلبس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه . وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا.

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته .

(القسم السابع) قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك . والحديث بإسناد عن الرازى يقول : قال يوسف ابن الحسين : كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن . ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها علىّ حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألنى الله معهم عن معصية . وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً .

إن ورد الخدود والحدق النجـ ... ـل وما فى الثغور من أقحوان

واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخد ... وما فى الصدور من رمان

تركتنى بين الغوانى صريعاً ... فلهـذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله : قلت هـذا الرجل قد فضح نفسه فى شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية . فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه . والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال : حكى لى عن أبى مسلم الخشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال . ثم قال سبحان الله ما أجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى

قد حزر عنه . لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق . وبإسناد عن أبى بكر محمد بن عبد يقول : سمعت أبا الحسين النورى يقول : رأيت غلاماً جميلا ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة ، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم .

﴿فصل﴾ وكل من فاته العلم تخبط فإن حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطاً . ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ»[1] سلم فى البداية بما صعب أمره فى النهاية ، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك . والحديث بإسناده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجوارى العواتق . والحديث بإسناده عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى . والحديث بإسناد عن الشعبى قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبى عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال : كانت خطيئة داود عليه السلام النظر . وعن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد . وقال عمر بن الخطاب : ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد . وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى .

وبإسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال : كان يقال لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد . وبإسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه قال : لأنا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء . وعن أبى على الروزبارى قال : سمعت جنيداً يقول جاء رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له

(١) سورة النور آية (٣٠)

من هذا ، قال ، ابني فقال أحمد لا تجيء به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبدالرحمن الحافظ وفي رواية الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال احمد الذي قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم . وباسناد عن أبي بكر المروزي قال : جاء حسن البزاز إلى احمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أباعلي لا تمش مع هـــذا الغلام في طريق فقال له إنه ابن أختي ، قال وإن كان لا يهلك الناس فيك . وباسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث . وباسناد عن فتح الموصلي أنه قال، صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراق لهم اتق معاشرة الأحداث .وباسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له ياهذا ابق على جاهك عند الله فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظما . وباسناد عن أبي منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع في الاحداث وعن أبي عبدالرحمن السلمي، قال قال مظفر القرميسيني من صحب الاحداث على شرط السلامة والنصيحة اداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة .

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يبالغون في الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن عطاء بن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمرداً يجالسه . وروى إبراهيم بن هانيء عن يحي بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتي . ولاحمد بن حنبل قال في طريق . وباسناد عن أبي يعقوب . قال كنا مع أبي نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت : ياشيخ أين مكان باب حرب . فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه : فسأله فقال ياشيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه . فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد فقال باب حرب . فقلنا له هاهو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر

جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه . فقال : نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال . مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسى من شيطانيه وباسناد عن عبدالله بن المبارك يقول . دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه . فإنى أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً . وباسناد عن محمد بن احمد بن أبى القسم . قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه . فقال له . قم من حذاقى فاجلسه من خلفه. وباسناد عن أبى إمامه قال : وكنا عند شيخ يقرى فبق عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام ، وكره أن يخلو مع هذا الغلام. وباسناد عن أبى الروزبارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له يا سيدى أنت بهم أعرف ، وقد تصحبهم السلامة لى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيماناً منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط .

﴿ فصل ﴾ وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف بن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان . وباسناد عن ابن الفرج الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق فقال كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الاحداث. وباسناد عن ابن سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم يمر عنى ناحية فقلت ، تعال ، فقال ايش أعمل بكم ، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت ما هو ، قال الدنيا ، فلما ولى التفت إلى فقال غيران فيكم لطيفة، قلت وما هى ؟

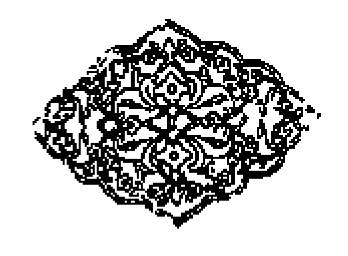
قال ، صحبة الاحداث . قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية .

﴿ فصل ﴾ فى عقوبة النظر إلى المردان ، عن أبى عبدالله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصرانى حسن الوجه فر بى أبو عبدالله البلخى . فقال إيش وقوفك فقلت . يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار. فضرب يده بين كتفى . وقال لتجدن غبها ولو بعد حين . قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن . وباسناد عن أبى الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبى بكر الدقاق فر حدث فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبه ولو بعد حين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله. وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم . ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت انى استحى أن أقر فقال انى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ماكان ذلك الذنب فقال مر بى غلام حسن الوجه فنظرت اليه . وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبدالله الزراد انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى . فقيل له ما الذنب فقال نظرت الى شخص جميل . وقد بلغنا عن أبى يعقوب الطبرى انه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنهه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الأحداث فوعزتى انى لا أشغل بالأحداث الا من باعدته عن قربى . قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه ، واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى قلت . إنما مددت النفس يسيراً فى هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بذم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك .

الفهرس

رقم الصفحة

رقم الصفحة



رقم الايداع ١٩٩٢/٨٢٤٣

مطابع الأوفست
بشركة الاعلانات الشرقية